

أسفار موسى الخمسة

نظرة عامة على سفر الخروج

الدرس
الحادي عشر



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم. مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

- I . المقدمة**
- II . الاعتبارات الأولى**
- أ. هوية الكاتب
- ب. المناسبة
- ج. المعنى الأصلي
١. الخلفيات
٢. النماذج
٣. الظلال
- د. التطبيق المعاصر
- III . البنية والمحتوى**
- أ. النجاة من مصر
١. قبل النجاة
٢. خلال النجاة
- ب. الاستعداد لكنعان
١. العهد مع إسرائيل
٢. خيمة اجتماع إسرائيل
- IV . المواضيع الرئيسية**
- أ. حافظ العهد
- ب. رجل الحرب المنتصر
١. في مصر
٢. في المسيرة
- ج. مشرع العهد
- د. رجل الحرب الحالي
- V . الخاتمة**

أسفار موسى الخمسة

الدرس الحادي عشر

نظرة عامة على سفر الخروج

المقدمة

لا بدّ أن تمرّ كلّ مؤسّسة بتغيّرات. ولكن قد تكون هذه التغيّرات قد تكون مزعجة إلى حد كبير بانتقال القيادة من جيلٍ إلى جيلٍ. فعند وفاة آخر عضو مؤسس لكنيسة، أو عندما يتقاعد صاحب مشروعٍ، يواجه من أسندت إليهم المسؤولية من بعده تحديات جديدة. والسؤال الذي غالباً ما يطرح نفسه على الدوام هو: إلى أيّ مدى ينبغي على الجيل الجديد أن يلتزم بأولويات وممارسات الجيل الذي سبقه؟

ومن عدّة جوانب، واجه شعب إسرائيل هذا السؤال بينما حطوا رحالهم على حدود أرض الموعد. فقد كان موسى يقترب بسرعة من نهاية حياته، وكان بنو إسرائيل يواجهون تحديات جديدة كثيرة. فكانوا بحاجة لمعرفة إلى أي مدى يجب عليهم الاستمرار في اتباع الأولويات والممارسات التي وضعها موسى لهم. فهل يتوجب عليهم أن يتبعوا طريقاً آخر؟ أم ينبغي الاستمرار في اتباع طرق موسى؟ لقد كتبت ثاني أسفار الكتاب المقدّس، السفر الذي ندعوه اليوم سفر الخروج، بهدف الإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى مشابهة لها.

يتناول هذا الدرس الجزء من أسفار موسى الخمسة الذي يغطي ثاني أسفار الكتاب المقدّس. وقد أعطينا العنوان "نظرة عامة على سفر الخروج". سنبحث في هذا الدرس، في عددٍ من المسائل الأساسية التي تُهيئنا لفهم بشكلٍ أعمق الرسالة التي حملها سفر الخروج عندما كُتِبَ في البداية، وكيف ينبغي لنا تطبيقه على حياتنا اليومية.

ينقسم درسنا هذا إلى ثلاثة أقسامٍ رئيسية. أولاً، سننظر إلى بعض الاعتبارات الأولية التي ينبغي أن نُبقيها في أذهاننا خلال دراستنا لسفر الخروج. ثانياً، سنفحص بُنية هذا السفر ومحتواه. وثالثاً، سنبحث في بعض المواضيع الرئيسية التي جاءت في سفر الخروج. لننظر أولاً إلى عددٍ من الاعتبارات الأولية.

الاعتبارات الأولى

نؤمن كأتباع للمسيح على نحو صحيح، بأن سفر الخروج كُتب بوحي من الروح القدس، وأنه كلمة الله. ويزكرنا هذا الإيمان أننا لسنا أمام كتاب عادي. فسفر الخروج هو نص مقدس أعطاه الله لشعبه. إذا لهذا السفر، بطريقة أو بأخرى، سلطان عليك وعليّ كأتباع للمسيح اليوم. ولكن في الوقت نفسه، يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنّ الله أعطى هذا السفر إلى شعبٍ قد عاش قبلنا بآلاف السنين. لذا من المهمّ التأكد من أن تطبيقاتنا المعاصرة تتسجم مع قصد السفر حين كُتب في البداية.

سنبدأُ دراستنا لسفر الخروج بتقديم أربعة اعتباراتٍ أوليّةٍ مختلفةٍ. أولاً، سنبحثُ في هويّة الكاتب. من كتب هذا السفر؟ ثانياً، سنستعرضُ مناسبةً الكتابيّة، متى وأين كُتب السفر. ثالثاً، سنلخصُ المعنى الأصليّ لسفر الخروج. ورابعاً، سنعرضُ كيف ينبغي أن تُوجّهنا هذه المسائلُ نحو التطبيق المعاصر لهذا السفر. لننظرُ أولاً إلى هويّة كاتب سفر الخروج.

هويّة الكاتب

تُعدُّ مسألة هويّة كاتب سفر الخروج جزءاً من جدالٍ طويلٍ ومعقّدٍ حول كاتب الأسفار الخمسة ككلّ. إلا أننا سنشيرُ في هذا الدرس فقط إلى بعض النواحي التي ينطبقُ بها هذا الجدالُ على سفر الخروج.

إنّ قراءةً سريعةً لسفر الخروج تكشفُ لنا أنه كان لموسى مساهمةً عظيمةً على الأقلّ فيما يختص بمحتوى هذا السفر. حيث يكشفُ لنا سفر الخروج مراراً أنّ الله أعلن بشكلٍ مباشرٍ عن الكثير ممّا جاء فيه لموسى على جبل سيناء. ويشملُ ذلك الوصايا العشر، كتاب العهد، والتعليمات المتعلّقة بصنع خيمة الاجتماع لإسرائيل.

لكن كما رأينا في دروسٍ أخرى من سلسلة أسفار موسى الخمسة، رفضَ أغلبيّةُ علماء النقدِ نسَبَ كتابة الأسفار الخمسة لموسى. وكانوا يحتاجونَ بقولهم أنّ لاهوت أسفار موسى الخمسة، ومن ضمنه سفر الخروج، متقدّمٌ بدرجةٍ أكبرٍ جداً من أن يكون قد جاء من زمن موسى. ويتمسكون بالمقابل بأنه لا يمكن أن تكون الأسفار الخمسة قد اكتملت قبل نهاية السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد.

ورغم انتشار هذه الآراء النقدية، فإنّ الافتراضات المُسبقة التاريخية واللاهوتية التي تقف خلفها هي تخمينيةٌ وغيرُ موثوقٍ بها إلى حدٍّ كبيرٍ. كذلك، من وجهة النظر الإنجيلية، من الضروري

أن نَتَّبِعَ الشهاداتِ الموثوقِ بها الموجودةِ في الكتابِ المقدسِ. فكتَّابُ العهدِ القديمِ والمسيحِ ورسَلُهُ والأنبياءِ أجمعوا كلُّهم على تأييدِ الرأيِ القائلِ بأنَّ موسى هو كاتبُ كلِّ الأسفارِ الخمسةِ بما في ذلكِ سفرِ الخروجِ.

وقد حدَّدَ الإنجيليون بشكلٍ صحيحٍ هذا الاعتقادُ بأن موسى هو الكاتبُ عندما أشاروا إلى موسى بالكاتبِ "الرئيسيِّ"، "الحقيقيِّ" أو "الأساسيِّ" لسفرِ الخروجِ. ويعني هذا أنه من المُستبعد أن يكون موسى قد جلسَ بكلِّ بساطةٍ وكتبَ سفرِ الخروجِ بكامله بيده. لكنَّ كان موسى شاهداً موثقاً به لكلِّ حَدَثٍ وَرَدَ في السفرِ، باستثناءِ ربَّما تلكَ الأحداثِ التي تدورُ حولَ ولادتهِ وطفولتهِ الباكرة. ويُرجَّحُ أنه اتَّبَعَ عادةً القادةِ المحليين في زمنه واستخدمَ كُتَّاباً أو نُسَاخاً ليكتبوا تحتِ إشرافه. وأياً كانت الطريقةُ التي تمَّت فيها الكتابة، يمكننا أن نكونَ واثقين أن سفرَ الخروجِ كُتِبَ بوحيِّ من الروحِ القدس في وقتٍ ما في أيامِ موسى.

إنَّ السؤالَ عَمَنَ كتبَ سفرَ الخروجِ مهمٌّ، ونحن إذ نقرأ نصَّ الخروجِ وننأملُ جدياً في تاريخِ الأحداثِ التي يُسجَّلُها، ليس لدينا أيُّ سببٍ لنقولَ إنَّ موسى لم يكتبَ القسمَ الأكبرَ من سفرِ الخروجِ الذي بينَ أيدينا اليوم. ويصوِّرُ موسى في سفرِ الخروجِ كالناطقِ بلسانِ الله. ففي كلِّ الأسفارِ الخمسةِ وعلى مدى تاريخِ شعبِ الله، يُصوِّرُ موسى كالناطقِ الوحيدِ بلسانِ الله، كشخصٍ عرفَ الله كما لم يعرفه أيُّ نبيٍّ من بعده حتَّى مجيءِ يسوعَ نفسه. فكانت له علاقةٌ وثيقةٌ بالله، وكان يكلمه وجهاً لوجهٍ كما يكلمُ الرجلُ صديقه، وكان له ذلكَ الدورَ المهمَّ كالناطقِ بلسانِ الله إلى شعبه. ولأنَّ أسفارَ العهدِ القديمِ، التي دُوِّنت بعدَ الأسفارِ الخمسةِ، تُشيرُ إلى سفرِ الخروجِ من توراةِ موسى وتُشجِّعُ الناسَ على أن يَلهَجوا به نهاراً وليلاً، فمن المنطقيِّ أن نعتبِرَ موسى كاتبَ هذا السفرِ. صحيحٌ أنه ربما حصلتَ تحديثاتٌ في أسماءِ الأماكنِ أو حتَّى على المستوى اللغويِّ وما شابهَ مع مرورِ الوقتِ، لكن حدثَ ذلكَ بيدِ نبيٍّ في إسرائيلِ موحى له. لكن نعم، أنا أعتقدُ أنَّ سفرَ الخروجِ هو بقلمِ موسى، بريشةِ موسى. وهكذا، يُصوِّرُ موسى ليس كالناطقِ الرئيسيِّ بلسانِ الله فحسب، بل أيضاً ككاتبِ السفرِ.

— أ. ثوماس إيجر

مبقينَ هذه الأفكارَ حولَ هويَّةِ الكاتبِ الموسويِّ في ذهننا، لا بدَّ من الانتقالِ إلى مجموعةِ

أخرى من الاعتباراتِ الأوَّليَّةِ، أي المناسبةِ، أو الظروفِ التي أحاطتِ بكتابةِ سفر الخروج.

المناسبة

كتبَ موسى سفرَ الخروجِ، بصورةٍ عامَّةٍ، في وقتٍ ما بينَ دعوتِهِ في العليقةِ المشتعلةِ، في الخروجِ ٣: ١-٤: ٣١، وموتِهِ في عَرَبَاتِ مَوَّابِ في التثنيةِ ٣٤: ١-١٢. لكنْ تُمَكِّنُنَا بعضُ الأدلَّةِ من تحديدِ زمنِ الكتابةِ بشكلٍ أدقِّ. فيكشفُ لنا شاهدانِ على الأقلِّ في الخروجِ أنَّ هذا السفرَ قد أُكْمِلَ بالفعلِ عندما كانَ شعبُ إسرائيلِ مُخيِّمًا على حدودِ أرضِ الموعدِ. استمعَ إلى الخروجِ ١٦: ٣٥ حيثَ نقرأُ هذهَ الكلماتِ:

أَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضِ عَامِرَةَ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرْفِ أَرْضِ كَنْعَانَ. (خروج ١٦: ٣٥)

جرت هذه الأحداثُ بالطبع قبلَ اكتمالِ كتابةِ سفرِ الخروجِ. نعلمُ من هنا أن شعبَ إسرائيلِ قد تاهَ بالفعلِ مُدَّةَ "أربعين سنة". وقد وصلوا إلى "أرضِ عامرة" أو "طرفِ أرضِ كنعان". ونجدُ تلميحاً مشابهاً إلى زمنِ الكتابةِ النهائيةِ في الخروجِ ٤٠: ٣٨، وهو العددُ الأخيرُ في السفرِ:

لَأَنَّ سَحَابَةَ الرَّبِّ كَانَتْ عَلَى الْمَسْكَنِ نَهَارًا. وَكَانَتْ فِيهَا نَارٌ لَيْلًا أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ رِحَالَتِهِمْ. (خروج ٤٠: ٣٨)

لاحظَ أنَّ هذا المقطعَ يُشيرُ إلى حضورِ اللهِ المجيدِ على خيمةِ الاجتماعِ "في جميعِ رِحَالَتِهِمْ". وتبيِّنُ هذهَ الملاحظةُ التاريخيَّةُ بوضوحٍ أنَّ موسى أكملَ كتابةَ سفرِ الخروجِ نحوَ نهايةِ حياته. فقد كتبَ بعدَ انتهاءِ سنواتِ التَّيْهَانِ الأربعةِ ووصولِ بني إسرائيلِ إلى عَرَبَاتِ مَوَّابِ. نظرنا حتَّى الآنَ إلى بضعةِ اعتباراتٍ أوَّليَّةٍ حولَ هويَّةِ كاتبِ سفرِ الخروجِ ومناسبةِ الكتابةِ. نصلُ الآنَ إلى الكلامِ بإيجازٍ عن المعنى الأصليِّ للسفرِ. لماذا أرادَ اللهُ أن يكتبَ موسى سفرَ الخروجِ؟ وكيفَ أمَلَ موسى أن يؤثِّرَ في قرائهِ الأصليينَ من بني إسرائيلِ في عَرَبَاتِ مَوَّابِ؟

المعنى الأصلي

يجب أن نلاحظ من البداية، أن لدى موسى عدداً من الأهداف العامة التي كثيراً ما تظهر في العهد القديم. على سبيل المثال، إن سفر الخروج سفرٌ تسيحيٌّ لأنه يوجّه إسرائيل على الدوام إلى تسييح الله وعبادته. لكنّه أيضاً سفرٌ لاهوتيٌّ لأنه يشرح بصورة متكررة حقائق عن الله. والسفرُ بمجمله سياسيٌّ، بمعنى أنّه كتُب ليُشكّل الحياة الوطنية لإسرائيل. هو جدليٌّ أيضاً لأنه يقاوم وجهات النظر الخاطئة. وهو أخلاقيٌّ لأنه يعلن كيف يجب أن يُطيع بنو إسرائيل الله. وهو تحفيزيٌّ لأنه يشجّع على الولاء لله ويحدّز من عدم الولاء له. وتُميِّز هذه الأهداف وأخرى مشابهة لها سفر الخروج بكامله بشكلٍ عام.

رغم أن هذه الخصائص وغيرها لا تقتصر على سفر الخروج، بل نجدُها أيضاً في عددٍ من أسفار الكتاب المقدس الأخرى، فقد كان لموسى هدفٌ فريدٌ وبارزٌ من خلال كتابة سفر الخروج. ويُساعدنا أن نلخص هذا الهدف الموحد في هذه الأسطر:

يُدافع سفر الخروج عن سلطة موسى المُعطاة له من الله على الجيل الأول للخروج بغرض توجيه الجيل الثاني، ليُقرّوا بسلطة موسى المستمرة على حياتهم.

تتطرق هذه الخلاصة إلى ثلاثة عوامل تُساعدنا على تكوين فكرة حول المعنى الأصلي لسفر الخروج. أولاً، تُدكّرنا بأنّ السفرَ بأغلبيته يتحدّث عن الجيل الأول للخروج، لكن في الوقت نفسه كتُب السفرُ من أجل الجيل الثاني للخروج.

يعلم كلُّ من كان على اطلاع على سفر الخروج أنّ معظم ما جاء فيه يصف الأحداث التي جرت عندما أخرج موسى شعب إسرائيل من مصر. يُمكننا أن نسمي هذه المرحلة "ذلك العالم" من التاريخ. مع ذلك، فكلّ ما يردُّ في سفر الخروج عن "ذلك العالم"، للجيل الأول، كتُب ليخاطب الجيل الثاني من الخروج، والذي نسميه "عالمهم".

من المهم أن نُبقي في ذهننا أنّ عدداً قليلاً جداً من شعب إسرائيل القديم تمكّن من القراءة. فعندما نتكلّم عن "قراء" الجيل الثاني، لسنا نعني بذلك أنّه كان لكلِّ رجلٍ وامرأةٍ أو ولدٍ نسخة من سفر الخروج يتناولها ويقراها بنفسه. بل على العكس، كما هو الحال بالنسبة لأجزاء أخرى للعهد القديم، كتُب موسى سفر الخروج بالدرجة الأولى لقادة إسرائيل. فيشوع، وشيوخ الأسباط، والقضاة، والكهنة واللاويون كانوا تركيز سفر الخروج الرئيسي. وكانت مسؤوليّة هؤلاء القادة أن ينقلوا محتوي

هذا السفر إلى بقية شعب إسرائيل وأن يشرحوه لهم. لهذا السبب، نرى أن سفر الخروج يعالج مسائل كان الجيل الثاني يواجهها كأمة.

من المهم أن نذكر كذلك أن اهتمام موسى "بعالمهم" بقي مستتراً. ومع ذلك، نجد الجيل الثاني يبرز إلى الواجهة في مرات عديدة، مما يجعلنا واثقين أن موسى كتب هذا السفر و"عالمهم" في ذهنه. وكما سبق وذكرنا، يُشير كل من الخروج ١٦: ٣٥؛ و٤٠: ٣٨ إلى الجيل الثاني. إضافة إلى ذلك، فإن سجل سلسلة النسب الذي يرد في الخروج ٦: ١٣-٢٧ يمتد إلى فنحاس، حفيد هارون. وسنرى لاحقاً أن عدداً من المقاطع يتناول مسائل وثيقة الصلة بالجيل الثاني. وتشير هذه الشواهد وأخرى مشابهة لها إلى أن موسى أخذ بعين الاعتبار الجيلين الأول والثاني للخروج عندما كتب هذا السفر.

جانب آخر من خلاصتنا لهدف موسى الأصلي من سفر الخروج، هو أن كل ما قيل حول "الجيل الأول" كتب لتوجيه الجيل الثاني. بمعنى آخر، كتب موسى الخروج كسفر ذي سلطان كامل بحيث كان على قرائه الأصليين من الجيل الثاني أن يطيعوا تعاليمه في خدمتهم لله. بينما نقرأ سفر الخروج، يتضح لنا أن موسى رتب سجله التاريخي بشكل مناسب للجيل الثاني. فلكي يخاطب أولئك الذين خيموا على حدود أرض كنعان، كان على موسى أن يولي الاختلافات العديدة بين الجيلين الأول والثاني اهتماماً خاصاً. فقد أدرك أنهم عاشوا في أزمنة ومناطق مختلفة، وأنهم واجهوا تحديات مختلفة. لذلك قام موسى بصياغة كل جزء من سفر الخروج ببراعة ليسلط الضوء على النقاط المشتركة بينهما. وساعدت هذه الروابط قراءه الأصليين على سد الفجوة بينهم وبين أسلافهم.

الخلفيات

شكل موسى ثلاثة أنواع أساسية من الروابط جعلت سلطة سفره جلية لقراءه الأصليين. وتألقت أبسط هذه الروابط من الخلفيات التاريخية. وقد ركزت هذه المقاطع على الجذور التاريخية لامتيازات القراء الأصليين ومسؤولياتهم.

يظهر أحد أنواع الخلفيات التاريخية في الخروج ٣: ٨ حيث ارتبط وعد الله لإسرائيل بتحقيق ذلك الوعد. يعد الله، في هذا العدد، أن يصعد شعب إسرائيل من مصر إلى "أرض تفيض لبناً وعسلاً". وكانت لهذه النبوة صلة وثيقة بقراء موسى، لأنهم كانوا على وشك أن يروها تتحقق في زمنهم.

نوع آخر من الخلفيات التاريخية يظهر في وصايا الله إلى الجيل الأول وواجبات الجيل الثاني التي نتجت عنها. على سبيل المثال، يُخبرنا موسى في الخروج ٢٠: ١-١٧، كيف أعطى الله الجيل الأول الوصايا العشر. وكان هذا الحدث أساساً للواجبات الأخلاقية التي كان على الجيل الثاني الالتزام بها.

النماذج

بالإضافة للخلفيات التاريخية، قدّم موسى لقرائه أيضاً نماذجاً تاريخية كان ينبغي عليهم إما الاقتداء بها أو رفضها. ويهدف توطيد هذا النوع من الروابط بين الجيلين، صاغ موسى بعض مقاطعه بشكلٍ يُبرِّز أوجه الشبه الجوهرية بين قراء الجيل الأول وقراء الجيل الثاني. استخدم موسى، في مقاطع عديدة، هذه الأنواع من أوجه الشبه ليقدم لقرائه الأصليين نماذجاً سلبية يجب أن يتبنوها. على سبيل المثال، قدّم تدمر بني إسرائيل المتمرد المتكرر أثناء مسيرتهم نحو سيناء، في الخروج ١٥: ٢٤؛ ١٦: ٢-١٢؛ ١٧: ٣ نماذجاً سلبية كان على الجيل الثاني أن يتبنوها.

بالمقابل، قدّم موسى أيضاً لقرائه نماذجاً إيجابية ليقننوا بها. على سبيل المثال، أطاعت إسرائيل تعليمات الله لبناء خيمة الاجتماع في الخروج ٣٦: ٨-٣٨. وقد كان ذلك نموذجاً إيجابياً للجيل الثاني ليقننوا به عندما يخدموا الله لاحقاً في خيمة الاجتماع. كما قدّم موسى أيضاً نماذجاً مُختلطة، لشخصيات اجتمعت فيها صفات إيجابية وأخرى سلبية معاً. كمثالٍ واحدٍ على ذلك، في الخروج ٧: ٨-١٣ أطاع هارونُ الله عندما طرح عصاه أمام فرعون. وقد ساهمت طاعته لله في إطلاق إسرائيل من مصر. لكن في ٣٢: ١-٣٥ صنع هارونُ عجلًا من ذهبٍ ليعبده الشعب، وجلب عصيائه هذا عقاباً شديداً على إسرائيل. وقدّم هذا للجيل الثاني من القراء نموذجاً مختلطاً ليقننوا به من جهةٍ ويتبنوه من جهةٍ أخرى.

الظلال

ثالثاً، صاغ موسى، في بعض المناسبات، تدوينه للأحداث بشكلٍ جعل تلك الأحداث ظلالاً تاريخيةً أو إشاراتٍ لقرائه من الجيل الثاني.

غالباً ما يلجأ الكتاب في القصص الكتابية، كما في الأفلام والأدب المعاصر، إلى استخدام ظلال أو تلميحات بشأن المستقبل. ونرى مثلاً جيداً على ذلك في المقاطع الأولى من سفر الخروج عندما هرب موسى من مصر، وأتى عند البئر حيث أنقذ بنات يثرون من الرعاة المؤذيين. ويصوّر النص موسى في دور المنقذ. تعتبر هذه الحادثة إنباءً مسبقاً أو ظلّ لما سيصنعه الله على يد موسى في المستقبل. فلا بد أن يرجع إلى مصر لينقذ شعب الله من العبودية.

— د. روبرت شيشلوم

لا يرد هذا النوع من الروابط في سفر الخروج بقدر ما يرد في بعض أسفار العهد القديم الأخرى. لكن وصف موسى، في حالات معينة، أحداثاً من الماضي بطرق جعلتها تتطابق بصورة شبه تامة مع تجارب مرّ بها قُرأوه الأصليون. وتدلّ هذه الظلال على أنّ التاريخ بما حوى من أحداثٍ آنذاك، أعاد نفسه في أيام الجيل الثاني. على سبيل المثال، نقرأ في الخروج ١٣: ١٨، "وصعد بنو إسرائيل مُتجهّزين من أرض مصر". كان هذا الاستعداد العسكري للجيل الأول ظلاً لكيفية تجهيز الجيل الثاني كجيشٍ مستعدٍّ لدخول الأرض وامتلاكها.

بطريقةٍ مشابهةٍ، يُخبرنا الخروج ٤٠: ٣٤-٣٨ أنه بمجرد أن بدأت مراسيم الخدمة في خيمة الاجتماع بشكلٍ صحيحٍ، ظهر الله على شكلٍ سحابةٍ ونايرٍ وهو يقود شعبه في مسيرتهم. كانت هذه الحقيقة التاريخية توقّعٌ مُسبقٌ، لما سيحدث بعد أربعين سنةٍ، حيث حضور الله الذي كان على وشك قيادة قراء الجيل الثاني في زمنهم إلى الأمام.

كما رأينا للتو، صاغ موسى كتاباته حول تاريخ الجيل الأول وجعلها تعمل بمثابة خلفياتٍ، نماذجٍ وظلالٍ للجيل الثاني. وقد قام بذلك ليوجّههم في خدمتهم لله. لكن تأتي بنا كلُّ هذه الأمور إلى عنصرٍ ثالثٍ وربما هو العنصرُ الأهمُّ في خلاصتنا للمعنى الأصليّ لسفر الخروج. فقد صمّم سفر الخروج بالدرجة الأولى ليدافع عن سلطة موسى المعطاة له من الله على الجيل الأول حتى يُقرّ الجيل الثاني بسلطة موسى المستمرة على حياتهم.

مهمٌّ أن نذكر أنه غالباً ما يظهر هارون إلى جانب موسى في سفر الخروج. لكن حتى عندما كانت تتم الإشارة إلى هارون، دعا كلُّ جزءٍ أساسيٍّ في سفر الخروج الجيل الثاني للإقرار بسلطة موسى المستمرة عليهم. فكان عليهم أن يخضعوا لوجهات نظر موسى اللاهوتية، ومبادئه الأخلاقية، وسياساته القومية، وما شابه. لاحقاً في هذا الدرس، سننظر بشيءٍ من التفصيل إلى مدى انتشار هذا الموضوع. لكن في هذه المرحلة سنذكرُ بإيجازٍ ناحيتين يبرز فيهما تركيز السفر على

أهميّة موسى وسلطته على إسرائيل.

أولاً، ليس من الصعب أن نرى أن موسى احتلّ مركزَ الصدارة في سلسلة أحداث سفر الخروج. صحيح أن أول إصحاحين من الخروج لا يُعرفاننا على موسى مباشرةً. لكن بعد أن نقرأ اسمه في الخروج ٢: ١٠ تغدو كلّ الأمور التي تحدث في السفر متعلّقةً بموسى بشكلٍ واضح. فعندما كان الله مستعداً لنجاة شعبه من مصر، دعا موسى. وكان لموسى دورٌ فعّالٌ في كلّ دينونةٍ فوق طبيعياً جاءت على المصريين. حتّى أن انشقاق البحر حصلَ عندما أطاع موسى الله وبسطَ يدهُ فوق المياه. وكان موسى قائدَ إسرائيل عندما قادَ الله الشعبَ من مصر إلى جبلِ سيناء. كذلك قطعَ الله عهدَه مع إسرائيل من خلالِ موسى. وأعطى موسى الشعبَ لوحَيّ الشريعةِ وكتابَ العهدِ نيابةً عن الله. وأعطى الله موسى تعليماته بشأنِ خيمةِ الاجتماع. كما خدمَ موسى الله خلالَ أزمةِ عبادةِ إسرائيلَ للأصنامِ عندَ أسفلِ جبلِ سيناء. وكان موسى مُشرفاً على تشييدِ خيمةِ الاجتماع.

ثانياً، يُسلطُ سفر الخروج الضوءَ بشكلٍ متكرّرٍ على سلطةِ موسى على إسرائيل. ويُظهرُ السفر حقيقةً تشكيكِ بني إسرائيل في سلطةِ موسى كقائدٍ لهم في مقاطعٍ مثلِ الخروج ٢: ١٤؛ ٥: ٢١؛ ١٥: ٢٤؛ ١٦: ٢-٣؛ ١٧: ٢. لكن في أحيانٍ أخرى، أقرّ بنو إسرائيلَ بسلطةِ موسى عليهم وذلك في مقاطعٍ مثلِ الخروج ٤: ٣١؛ ١٤: ٣١؛ ٢٠: ١٩. ونقرأ عن إعادة تأكيدِ الله على كونه هو من أقامَ موسى قائداً بسلطةٍ على إسرائيل، في مقاطعٍ مثلِ الخروج ٦: ١-٨، ١٠-١٣؛ ٢٤: ٢؛ ٣٤: ١-٤. كمثالٍ واحدٍ على ذلك، استمع إلى الخروج ١٩: ٩ حيث تكلمَ الله عن تجلّيه القريب، أو ظهوره الإلهي، على جبلِ سيناء:

ها أنا آتٍ إليك في ظلامِ السحابِ لِيَسْمَعَ الشَّعْبُ جِينَمَا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ فَيُؤْمِنُوا بِكَ
أَيْضاً إِلَى الأَبَدِ. (خروج ١٩: ٩)

كما يُشير هذا المقطع، ظهرَ الله على جبلِ سيناء في "ظلامِ السحابِ" حتّى عندما يسمعُ بنو إسرائيلَ الله يتكلّمُ مع موسى "فَيُؤْمِنُوا [بِموسى] أَيْضاً إِلَى الأَبَدِ". كما يتبيّن لنا هنا، يَلْفَتْ هذا العدد انتباهنا إلى أهمّ سببٍ وراءَ كتابةِ سفر الخروج. فهو يدافعُ عن سلطةِ موسى المستمرة على إسرائيل.

عندما يتعاملُ الإنجيليون مع سفرٍ مثلِ الخروج، أو أي سفرٍ كتابيٍّ آخر، تكونُ لديهم نزعةٌ طبيعياً إلى جعلِ الله محورَ كلِّ شيءٍ والقولِ أن كلَّ سفرٍ وكلَّ جانبٍ من كلِّ سفرٍ هو كلهُ عن الله. لكن في الواقع، عندما تُلقى نظرةً على سفرٍ

الخروج، لا يتكوّن لديك هذا الانطباع. فالله مهمّ، ومن نواحٍ عدة، الله هو الشخصية الرئيسية، على الأقل من حيث أنّه هو الذي يتحكّم بالتاريخ الذي يتحدث عنه سفر الخروج، وهو صانع ذلك التاريخ؛ فهو الذي يُحرّر شعب إسرائيل من مصر؛ وهو الذي يعطي الشريعة؛ وهو الذي يعطي خيمة الاجتماع. لكن في الوقت نفسه، عندما تنظر إلى الوصف الأدبي لتلك الأحداث في سفر الخروج، تكتشف أمراً يبدو غريباً للوهلة الأولى، لكنّي أعتقد أنّه صحيح، باستثناء أمر واحد، فالله في كل سفر الخروج لم يصنع أمراً إلا وكان ذلك من خلال موسى. والأمّر الوحيد الذي صنعه الله بمعزل عن موسى هو مُباركته للقبالات في الإصحاح الأوّل. وهكذا، ما نراه في سفر الخروج هو أنّ الله يتراعى ويصنع أموراً لشعب إسرائيل، لكنّ موسى موجوداً دائماً في الصورة، فهو الأداة التي يعمل الله من خلالها. والسبب، هو أنّ موسى شارف على نهاية أيامه، شارف على مغادرة إسرائيل، لكنّ الله لن يتركهم. والحقيقة هي أنّك بينما تقرأ سفر الخروج، تكون أمام سفرٍ اكتمل في عريات موب، أمام حقيقة كون موسى على وشك أن يترك شعب إسرائيل. وكنتيجاً لذلك كلّهُ، عندما تُلقي نظرة على سفر الخروج، نجد شعب إسرائيل يطرح هذه التساؤلات: من من المفترض أن يقودنا؟ كيف يُفترض أن يقودنا؟ ما هي الأولويات التي ينبغي أن تكون لديهم؟ ما نوع السلطة التي يجب أن نتبّعها اليوم بما أن موسى مُشرف على مغادرتنا؟ وقد صمّم سفر الخروج ليُجيب عن هذا النوع من الأسئلة. صحيح أن الله حرّر إسرائيل من مصر، إلا أنّه حرّره بواسطة موسى. نعم، أعطى الله إسرائيل الشريعة، لكنّه فعل ذلك من خلال موسى. نعم، أعطاهم خيمة الاجتماع، خيمة حربه المقدّسة، لكنه فعل ذلك من خلال موسى. وهذا هو تركيز سفر الخروج. وهكذا يُدافع سفر الخروج عن سلطة موسى أمام الجيل الثاني من خلال سرد روايات وأحداثٍ حصلت مع الجيل الأوّل، وكيف عظم الله موسى أمام شعبه، وبسبب هذا التعظيم، ينبغي أن يعظم الجيل الثاني موسى حتّى وإن كان مُشرفاً على الموت.

— د. ريتشارد برات، الابن

الآن وبعد أن تطرّقنا إلى بعض الاعتبارات الأولى المتعلقة بهويّة الكاتب، المناسبة والمعنى

الأصليّ لسفر الخروج، لابدّ من تقديم بعض الملاحظات على تطبيقه المعاصر. كيف ينبغي أن يُطبّق هذا السفر على أتباع المسيح اليوم؟

التطبيق المعاصر

يمكن تطبيق سفرًا معقدًا مثل سفر الخروج على الحياة المعاصرة بطرق لا تُحصى. ونعلم ذلك لأنّ كلّ إنسان هو فريد ويمرّ بظروف مختلفة. لاحقاً في هذا الدرس، سننظر بإمعان أكثر في التطبيق المعاصر. ولكن في هذه المرحلة، يكون من المفيد أن نذكر بعض وجهات النظر العامة التي يجب دائماً أن نبقىها في أذهاننا ونحن نطبّق سفر الخروج على حياتنا اليوم. نعلم، كأتباع للمسيح، أنّ سفر الخروج ينطبق علينا بسبب كونه كلمة الله. لكن هناك اختلافات كبيرة بيننا وبين القراء الأصليين. ولهذا السبب، يجب أن نلتفت دائماً إلى العهد الجديد ليرشدنا في تطبيقنا المعاصر، حيث يُقدّم لنا العهد الجديد الإرشاد بإشارته أو تلميحه إلى سفر الخروج حوالي ٢٤٠ مرّة. لكن هناك مقطع في العهد الجديد يساعدنا بصورة خاصة. استمع إلى ١ كورنثوس ١٠: ١-٥ حيث كتب الرسول بولس:

أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعُهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ وَجَمِيعُهُمْ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ. وَجَمِيعُهُمْ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ. وَجَمِيعُهُمْ أَكَلُوا طَعَاماً وَاحِداً رُوحِيّاً. وَجَمِيعُهُمْ شَرَبُوا شَرَاباً وَاحِداً رُوحِيّاً لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابَعْتَهُمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ الْمَسِيحِ. لَكِنْ بِأَكْثَرِهِمْ لَمْ يَسِرَّ اللَّهُ لِأَنَّهُمْ طَرِحُوا فِي الْفَقْرِ. (١ كورنثوس ١٠: ١-٥)

كما نرى هنا، أشار بولس إلى عددٍ من الأحداث المذكورة في سفر الخروج. انظر إلى الكلام الذي يتبع في ١ كورنثوس ١٠: ١١:

فَهَذِهِ الْأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً وَكُتِبَتْ لِإِنذارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدَّهْرِ. (١ كورنثوس ١٠: ١١)

نُفِّرُ هذه الأعداد معاً بوضوح بأهمية سفر الخروج بالنسبة لأتباع المسيح. وكما يقول بولس

"هذه الأمور جميعها أصابهم مثلاً. ثم يُضيف وَكُتِبَتْ لِإِنْدَارِنَا. تُساعدنا كلمات بولس هنا في فهم أنّ سفر الخروج لم يُكتب فقط عن "ذلك العالم"، وليس إلى "عالمهم" فقط، إنّما كُتِبَ إلى عالمنا أيضاً. أما فيما يتعلّق بهذا الدرس، نقول إن سفر الخروج لم يُكتب ليُرشد القراء الأصليين فقط، بل كان معداً "لنا" أيضاً، نحن أتباع المسيح. استمع كيف يصفُ الرسولُ عالمَ أتباعِ المسيح. "نحن الذين انتهت إلينا أواخرُ الدهور". إن كلمة "أواخر" مترجمة من الكلمة اليونانية "تيلوس" "τέλος" والتي غالباً ما تُترجمُ إلى نهاية أو غاية، حيث يعيش المسيحيون في زمنٍ بلغت فيه خطّةُ الله للتاريخ نهايتها أو غايتها في المسيح. وبمصطلحاتٍ لاهوتيةٍ عامةٍ، نعيش نحن الذين نتبعُ المسيح في "الأيام الأخيرة"، في الدهر "الأخير" من التاريخ.

حتى نفهم ما قصده بولس، يجب أن نُدرِك أنّه عندما نختبرُ الإيمانَ الخلاصيَّ في المسيح، نصبح جزءاً من رحلةٍ. وبنضمّ فعلاً إلى "الأيام الأخيرة" من رحلة موسى وإسرائيل من العبودية والطغيان في مصر إلى الحرية والبركات في الأرض التي وعد بها الله. ويُعلّم العهدُ الجديدُ إجمالاً أنّ الدهرَ الأخيرَ، أو الأيامَ الأخيرةَ في المسيح، ينكشفُ على ثلاثِ مراحلٍ رئيسيةٍ. لذا، من وجهةِ النظرِ الكتابيةِ بدأت هذه المرحلةُ الأخيرةُ من رحلة موسى وشعب إسرائيل بتأسيس المسيح لملكوته خلال خدمته الأرضية. وتتقدّمُ رحلة موسى وشعب إسرائيل إلى الأمام في سفر الخروج في هذه الأيام الأخيرة، إذ نعيشُ في اتحادٍ مع المسيح خلال استمرارية ملكوته خلال تاريخ الكنيسة. وأخيراً، كما سافر موسى وشعب إسرائيل من مصر إلى أرض الموعد، ستنتهي آخرُ أيام رحلتنا في المسيح مع اكتمال ملكوته، عندما سندخلُ عند عودته المجيدة، السماوات الجديدة والأرض الجديدة.

وكما يُشيرُ ١ كورنثوس ١٠، يجب أن نُطبّقَ كلَّ موضوعٍ في الخروج على المسيحيين المعاصرين في ضوء تأسيس، استمرارية، واكمالِ الأيام الأخيرة في المسيح. يمكننا أن نقومَ بهذه الروابط بعدة طرقٍ. على سبيل المثال، يُخبرنا سفر الخروج أنّ إسرائيل دخلت في عهدٍ مع الله من خلال موسى على جبل سيناء. وبطريقةٍ مماثلةٍ، يدخلُ المسيحيون في العهد الجديد من خلال المسيح. لكن بدأ العهد الجديد بالمجيء الأول للمسيح؛ وهو مستمرُّ اليوم؛ وسيكتملُ عند المجيء الثاني للمسيح.

كمثالٍ آخر، يُخبرنا سفر الخروج عن حضورِ الله في خيمة الاجتماع في أيام موسى. ويُعلّمُ العهدُ الجديدُ أنّ حضورَ الله في المسيح أعظمُ من ذلك الحضور. حيث كان يسوعُ نفسه حضورَ الله الذي حلَّ بيننا في تأسيس ملكوته. واليوم في استمرارية الملكوت، يسكنُ الروحُ القدس في المؤمنين

كأفرادٍ وفي الكنيسة كجسدٍ واحدٍ. وعند اكتمال التاريخ، سيَمَلأُ مجدُ الله كلَّ شيءٍ إذ تصبحُ الخليقةُ الجديدةُ مَسْكِنُ اللهِ المقدَّسِ.

يكشفُ سفرُ الخروجِ أيضاً انتصارَ الله على أعدائه في زمنِ موسى. ويعلمُ العهدُ الجديدُ أنَّ المسيحَ غلبَ الخطيئةَ والموتَ. وقد بدأ المسيحُ في مجيئه الأولِ المراحلَ الأخيرةَ لهذه الغلبةِ كالمحاربِ الجبارِ لله. وتتبعُ الكنيسةُ المسيحَ اليومَ كجيشه لابسَةً سلاحِ الله الكاملِ في الحربِ الروحيةِ. وعند عودته في المجد، سيُتمِّمُ المسيحُ حربَهُ الكونيةَ العظيمةَ ضدَّ أعداءِ الله.

إضافة إلى ذلك، كان بنو إسرائيل في سفر الخروج متجهين إلى ميراثهم من الله في أرضِ الموعد. وكانت هذه خطوتهم الأولى في جعلِ ملكِ الله ينتشرَ في الأرض. ويعلمُ العهدُ الجديدُ أنَّ المسيحيين يَنالون ميراثهم في المسيح. وقد ضَمَّنَ المسيحُ نفسه ميراثَهُ في تأسيسه لملكوته. ونستمرُّ، كمسيحيين اليوم، بالتمتع بعربون ميراثنا في الروح القدس. وعندما يعودُ المسيحُ ثانيةً، سيرثُ-ونرثُ نحن معه- كلَّ شيءٍ.

توضِّحُ هذه الروابطُ الشاملةُ وغيرها كيف أنَّ تركيزَ سفرِ الخروجِ البارزِ على سلطةِ موسى المستمرة لا يزالُ ينطبقُ علينا في المسيح. باختصار، دعا سفرُ الخروجِ قُراءَهُ الأصليين للبقاءِ أمناءً لسلطةِ موسى في ضوءِ ما صنعه الله في أيامهم. ويدعوننا سفرُ الخروجِ اليومَ للبقاءِ أمناءً لسلطةِ موسى في ضوءِ كلِّ ما أنجزَهُ الله، وما ينجِزُهُ الآن، وما سيُنجزُهُ في المسيح.

الآن بعد أن تطرَّقنا إلى بعضِ الاعتباراتِ الأوليةِ عن سفرِ الخروجِ، لابدَّ أن ننتقلَ إلى موضوعنا الرئيسيِّ الثاني في هذا الدرسِ وهو: بُنية السفرِ ومُحتواه.

البُنية والمحتوى

يُنألفُ سفرُ الخروجِ من أربعين إصحاحاً تضم الكثير من الشخصيات والخلفيات والأحداث المختلفة. كما نجد فيه أشكالاً أدبيةً متعدّدة مثل السرد القصصي، القصائد، سلالات النسب، تعداد السكان، الشرائع، الخطابات، الصلوات والتوجيهات. وهذه التعقيدات تجعل من الصعب أحياناً أن نتعرّف على أقسام السفر الرئيسية ومقاطعهِ وأجزائه الأصغر. لذا من المنصف أن نقول إنّه يمكن تقسيم سفر الخروج بعدة طرق. ولكن ليس من الصعب التعرف على بُنية السفر ومحتواه الأساسيين عندما نتذكّر غاية السفر الأصلية.

يَنقسمُ سفرُ الخروجِ إلى قسمين أساسيين: القسمُ الأولُ، من ١: ١-١٨: ٢٧، يركّزُ على نجاةِ موسى وإسرائيلَ من مصر إلى جبلِ سيناء. القسمُ الثاني، من ١٩: ١-٤٠: ٣٨، ويتناولُ

استعدادَ موسى وإسرائيلَ لكنعانَ عند جبلِ سيناء.

سندرسُ بصورةٍ خاصةٍ كيف يُركّزُ هَدَيْنِ القَسَمَيْنِ الرَّئِيسِيَّيْنِ على سُلْطَةِ موسى المُستمرّةِ على الجبلِ الثاني للخروج. ولنبدأُ بنجاةِ موسى وإسرائيلَ من مصرِ إلى جبلِ سيناء.

النجاة من مصر (الخروج ١: ١-١٨: ٢٧)

يبدأُ القَسْمُ الذي يتناولُ نجاةَ موسى وإسرائيلَ من مصرِ بالتركيزِ على سُلْطَةِ موسى قبلَ نجاةِ إسرائيل. ونرى ذلك بوضوحٍ في الخروج ١: ١-٤: ٣١. ثم، في ٥: ١-١٨: ٢٧، يُركّزُ موسى على الأحداثِ التي حصلت أثناءَ نجاةِ إسرائيل. لننظرُ أولاً إلى الأحداثِ التي وردت في الخروج قبلَ نجاةِ إسرائيل.

قبل النجاة (١: ١-٤: ٣١)

يُمكن تقسيمُ الأحداثِ التي جرت قبلَ نجاةِ إسرائيلَ إلى قسمين. القَسْمُ الأوّلُ، ولادةُ وتنشئةُ موسى وبيدأُ في ١: ١ ويستمرُّ حتى ٢: ١٠. ثم يليه القَسْمُ الثاني، حيث نتعلّمُ عن صعودِ موسى للقيادةِ على إسرائيلِ في ٢: ١١-٤: ٣١. سنبدأُ بقصةِ ولادةِ وتنشئةِ موسى. إن هذه الأعدادُ هي بمثابة ردٍّ على أية اعتراضاتٍ على سُلْطَةِ موسى التي ربما نشأت بسببِ قضاءِ موسى سنواتٍ شبابه في بلاطِ مصر.

الولادة والتنشئة (١: ١-٢: ١٠). وكما تبدأُ القصةُ، حَسِيّ فرعونُ من عصيانِ بني إسرائيلَ الذين تزايدَ عددهم بشكلٍ كبيرٍ. فابتكرَ ثلاثَ خططٍ داهيةٍ ليحُدَّ من تكاثرهم. لكن حيلتهُ لإذلالهم بالعملِ الشاقِ فشلت. كما قُتِلَ أيضاً أمره للقبالاتِ بقتلِ المواليدِ الذكورِ في إسرائيلَ عندَ ولادتهم. والأهمُّ من ذلكِ قُتِلَ أيضاً أمره بإغراقِ الأولادِ الذكورِ من بني إسرائيلَ في النيلِ. وتظهرُ المفارقاتُ في سلسلةِ الأحداثِ هذه. لكن تظهرُ المفارقةُ الكبرى عندما أَحْبَطَت ابنةُ فرعونِ خطةَ أبيها الأخيرةَ بإنقاذها موسى من الغرقِ في النيلِ. ثم في ٢: ١٠، دعت ابنةُ فرعونِ الصبيَّ موسى وقالت: "إِنِّي انْتَشَلْتُهُ مِنَ الْمَاءِ". يعني "موسى" في لغةِ المصريين بكلِّ بساطةٍ "ابن"، ويُظهرُ لمعظمِ الناسِ بأنَّ موسى فردٌ من البلاطِ الملكي. لكنَّ شرحت ابنةُ فرعونِ بوضوحٍ أنّها اختارت اسمَ موسى لأنّه يُشبهُ الفعلَ العبري "مشا" מִשָּׂא ومعناه "انتشل". إذاً في مفهومِ بني إسرائيلَ

الأمناء، لم يُشير اسمُ موسى إلى أته ابنُ فرعون، بل كان هذا الاسمُ يسخرُ من فرعون مُذكراً لإسرائيل كيف أنّ كلَّ محاولات فرعون لإيذائهم باءت بالفشل.

الصعود للقيادة (٢: ١١-٤: ٣١). بعد ذلك ينتقل سرد الأحداث التي جرت قبل نجاة إسرائيل من مصر، من ولادة وتنشئة موسى إلى طرح أسئلة حول صعود موسى للقيادة على إسرائيل في ٢: ١١-٤: ٣١.

في الخروج ٢: ١٤، تواجه عبدُ إسرائيليٍّ مع موسى سائلاً إياه، "من جعلك رئيساً وقاضياً علينا؟" ويجيب هذا المقطع بكامله عن هذا السؤال شارحاً كيف أصبح موسى قائد إسرائيل الرسمي. يظهر الجواب على سؤال العبد الإسرائيلي في توازٍ متقابلٍ سداسيٍّ، والتوازي المتقابل هو بُنية أدبية تكون فيها المقاطع السابقة متوازياً مع المقاطع اللاحقة أو متوازنة معها.

أولاً، يُشكّل هروب موسى من مصر، في الخروج ٢: ١١-١٥، دعماً لموسى كقائد على إسرائيل من خلال شرحه أنه هرب من مصر بعد قيامه بقتل مصريٍ دفاعاً عن عبدٍ إسرائيلي.

ثانياً، انضمَّ موسى إلى عائلة مديانِيَّة في ٢: ١٦-٢٢. ويذكر العدد ٢٢ أنّ ابن موسى كان يُدعى "جرشوم". وكما يشرح هذا المقطع، يُشبه لفظُ الاسم جرشوم العبارة العبرية "جير شام" גֵּר שָׂם ومعناها "غريباً هناك". ويُشير الاسمُ إلى أنّ موسى شعر كما لو أنّه غريبٌ بين المديانيين. بكلماتٍ أخرى لم تغب هويته الحقيقية كإسرائيليٍّ عن ذهنه يوماً.

ويوجّه الجزء الثالثُ الأنظارَ في الخروج ٢: ٢٣-٢٥ إلى تذكّر الله عهده. إذ يذكّر هذا المقطع كيف صرخَ بنو إسرائيل إلى الله لينجدهم، وسمعَ الله لهم متذكراً وعده لآباء إسرائيل.

أمّا الجزء الرابع فيتطابق مع ما جاء في الجزء السابق. إذ يرد في ٣: ١-٤: ١٧ كلامٌ عن تفويض الله لموسى عند العليقة المشتعلة. تتبّت دورُ موسى القيادي هنا بحقيقة أن الله تذكّر عهده مع الآباء، داعياً موسى إلى إصعاد شعب إسرائيل من مصر إلى أرض الموعد.

ويتوازي الجزء الخامسُ الممتدُّ من الخروج ٤: ١٨-٢٦ مع الجزء الثاني عن الفترة التي قضاهَا موسى مع عائلته المديانِيَّة. ويصفُ هذا الجزءُ مغادرة موسى لعائلته المديانِيَّة. ويوجّه هذا المقطعُ الأنظارَ مجدداً نحو جرشوم بعد أن فشلَ موسى في ختانه. وهَدَدَ اللهُ في هذا المقطع بقتل موسى بحسب العهد الذي قطعه مع إبراهيم في التكوين ١٧: ١٠-١٤. لكن حتى هذه الحادثة أظهرت دعمَ الله لقيادة موسى. ونعلمُ ذلك لأنَّ الله أظهرَ رحمته عندما قامت صفورة، زوجة موسى المديانِيَّة، بختان جرشوم.

وأخيراً، بالتوازي مع هروب موسى من مصر في البداية، يُخبرنا الخروجُ في ٤: ٢٧-٣١

عن عودة موسى إلى مصر مع هارون. ونجدُ هذا أيضاً تثبيتاً لصعود موسى للقيادة. ونعلمُ في ٤: ٣١ أن بني إسرائيل آمنوا بالله وسجدوا له لأنه أرسل موسى إليهم.

يوجدُ في الطريقة التي نروي بها جميعنا القصص بدايةً وخاتمةً للقصة، وهناك نقطة صعود، ونقطة تحوّل، ونقطة هبوط، ولا بدّ أن تكون هذه الأقسام متماثلةً. لذا ينبغي ألا يفاجئنا وجودُ هذا النوع من البنية المتماثلة في القصص الكتابية. حيث لم يقدّم رواة القصص الكتابيون باختلاق موادهم. ولم يتلاعبوا بها ليجعلوها تتناسق بشكلٍ أدبيٍّ جميلٍ؛ إنّما هكذا نروي القصص وبهذه الطريقة نتوقّع أن نجدَها. وعندما نتوقّع أن نجدَها ونعلمُ دورَ حبكة القصة، يُساعدنا ذلك في معرفة ما ينبغي أن نتطلّع إليه في القصة.

— د. جوردون جونسون

والآن بعد أن نظرنا إلى نجاة موسى وإسرائيل من مصر في فترة ما قبل نجاة إسرائيل، يجب أن ننقلَ إلى أعمال موسى خلال نجاة إسرائيل في الخروج ٥: ١-١٨: ٢٧.

خلال النجاة (٥: ١-١٨: ٢٧)

بدأت معظم أعمال موسى خلال نجاة إسرائيل بالوقت الذي قضاه في مصر، وقد وردت في الخروج ٥: ١-١٣: ١٦. بعد ذلك، نتعلّم عن قيادة موسى خلال المسيرة من مصر إلى جبل سيناء، في الخروج ١٣: ١٧-١٨: ٢٧. لننظر إلى أيام موسى في مصر.

في مصر (٥: ١-١٣: ١٦). تردّ أيام موسى في مصر على الاعتراضات التي يمكن أن يكون موسى قد واجهها نتيجةً لمساعيه الأولى في مصر، والتي ساهمت دون قصدٍ في ازدياد معاناة شعب إسرائيل.

في ٥: ١-٦: ٢٧، نقرأ سلسلتين متوازيتين تتضمّن كلٌّ منهما رفض إسرائيل لقيادة موسى، رثاءً موسى وتأكيدهُ الله. وتُظهرُ السلسلة الأولى في ٥: ١-٦: ٨. رفض بني إسرائيل لموسى، لأنّه أثار غضبَ فرعون تجاههم. فقدّم موسى رثاءً بتواضع. ثم أكّد الله له دعوته من جديد لقيادة شعب إسرائيل.

أما السلسلة الثانية التي تَرُدُ في ٦: ٩-٢٧ فتتبع النمط عينه. فبعد رفض إسرائيل لموسى مرة ثانية ورثاء موسى مجدداً، يأتي تأكيدُ الله هذه المرة على شكل سلسلة نسب. ويتبع ٦: ١٣-٢٧ سلالة موسى وهارون من جدّهم لاوي إلى فنحاس حفيد هارون. وبالطبع لاوي هو أحد رؤساء الآباء الاتني عشر. وبحسب ما ورد في سفر العدد الإصحاحين ٢٥ و ٣١، قاد فنحاس بني إسرائيل في خدمة الله بأمانة في أيام الجيل الثاني. وأكد الله مجدداً للجيل الثاني هنا أنّ موسى وهارون كانا إسرائيليّين حقيقيّين، منحدرين من أسباط يعقوب. ويمكنهم أن يروا من خلال فنحاس مباشرة تراث موسى وهارون الأمين، ويتأكدوا من دعوة الله لأولئك الرجال لقيادتهم.

وهذا يأتي بنا إلى الجزء الرئيسي الثاني من أعمال موسى في مصر: دينونات الله فوق الطبيعية على مصر في الخروج ٦: ٢٨-١٣: ١٦. تؤكد هذه الإصحاحات على سلطة موسى مشيرة إلى الدور المهم الذي لعبه في الضربات فوق الطبيعية التي أنزلها الله كدينونة على المصريين.

وتظهر دينونة الثعابين التمهيدية في ٦: ٢٨-٧: ١٣. إذ تحولت عصا هارون بمعجزة إلى ثعبان وأظهرت تفوق قوة الله على مصر بابتلاعها الثعابين التي صنعها سحر فرعون. تظهر بعد هذه المعجزة التمهيدية، سلسلة من تسع ضربات في الخروج ٧: ١٤-١٠: ٢٩. وتنقسم هذه الضربات التسع إلى ثلاث مجموعات متساوية، تبدأ كل منها بمواجهة موسى لفرعون على ضفاف النيل.

تمتد المجموعة الأولى من ٧: ١٤-٨: ١٩. وتتضمن معجزة تحويل المياه إلى دم، ومعجزة الضفادع التي غطت الأرض، ومعجزة البعوض الذي خرج من التراب. وتمتد المجموعة الثانية من ٨: ٢٠-٩: ١٢ وتتضمن ضربة الذباب، وضربة مواشي المصريين، وضربة الدامل.

أما المجموعة الثالثة فتمتد من ٩: ١٣-١٠: ٢٩. وتتضمن ضربات البرد، الجراد والظلام. وأكد دور موسى الحاسم في كل هذه الضربات فوق الطبيعية على سلطته كقائد لإسرائيل. أخيراً، ينتهي هذا القسم بضربة الفصح في ١١: ١-١٣: ١٦. بعد أن قتل الله كل ابن بكر في مصر، وافق فرعون أخيراً على إطلاق إسرائيل.

بعد أن نظرنا إلى الأحداث التي جرت خلال نجاة إسرائيل من مصر، لا بد أن ننقلَ لننظر كيف دعم الله سلطة موسى خلال المسيرة من مصر إلى جبل سيناء في الخروج ١٣: ١٧-١٨: ٢٧.

خلال المسيرة (١٣: ١٧-١٨: ٢٧). على الرغم من المصاعب التي واجهها شعب إسرائيل في طريقهم إلى سيناء، لا بدّ أن نذكر أنّهم لم يتركوا مصر بدون استعداد. فيخبرنا سفر الخروج بوضوح في ١٣: ١٨ أنّ بني إسرائيل صدعوا من أرض مصر وهم "مُتَّجَهَرُونَ للمعركة". وفي ضوء الجوّ العسكري هذا، يتّصف هذا الجزء بكامله بسرده للنزاعات مع الشعوب الأخرى وحاجة جيش إسرائيل إلى الماء والطعام.

تنقسم مسيرة بني إسرائيل في صفوف المعركة إلى أربعة أجزاء رئيسية. يتناول الجزء الأول التأكيد على سلطة موسى عند البحر في ١٣: ١٧-١٥: ٢١. في الخروج ١٤: ٣١، بعد أن عبّر بنو إسرائيل البحر على اليابسة، نقرأ هذا التأييد لموسى:

فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ وَبِعِبْدِهِ مُوسَى. (خروج ١٤: ٣١)

يعرض هذا العدد النقاط الرئيسية لهذا الجزء بشدة. "فَخَافَ الشَّعْبُ الرَّبَّ وَآمَنُوا بِالرَّبِّ". كما آمنوا "بعبده موسى". وبالطبع كانت الرسالة واضحة لقراء الخروج الأصليين. وكان عليهم أن يتقوا بالله وبموسى أيضاً.

بعد ذلك سار بنو إسرائيل إلى برية شور في ١٥: ٢٢-٢٧. اعترض الشعب على سلطة موسى في برية شور، وتذمروا على موسى لأنّ الماء التي وجدها لم تصلح للشرب. فرفع الله موسى كقائد على إسرائيل إذ أراه شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا. في الجزء الثالث، وصل بنو إسرائيل إلى برية سين في ١٦: ١-٣٦. اعترض بنو إسرائيل في برية سين على قيادة موسى مجدداً وتذمروا على موسى وهارون. لكن شدّد موسى، هذه المرة في العدد ٧ على أنّ تدمرهم في الحقيقة هو على الله. وبزرّ الله موسى بإعطاء الشعب السلوى ليأكلوا، وتقديم المنّ لهم بانتظام.

أكّد الله سلطة موسى عندما سدّ حاجات الشعب في البرية. ورغم تدمرهم على موسى وعلى الرب، وفرّ لهم الله الماء من الصخرة والمنّ من السماء، ولا يظهر كل ذلك اهتمامه الأبوي بهم فحسب، بل يُقرّ بأنّ موسى هو حقاً الرجل الذي أرسله الله. وفي كثير من الأحيان، لا نفكر كمسيحيين بوضع إيماننا وثقتنا في إنسان ما، لكن دُعي الشعب في هذه الحالة ليضع ثقته ليس في الرب فحسب، بل أيضاً في موسى كأداة الرب ووكيله. رأينا ذلك أيضاً عند شاطئ البحر الأحمر

عندما أحرزَ اللهُ انتصاراً عظيماً على جيوشِ المصريين بينما كانوا يعبرون البحر. نقرأُ هناكَ عندَ الجهةِ المقابلةِ من البحر، أنَّ الشعبَ ابتَهَجَ ومجَّدَ اللهُ، ووضعوا ثقتهم بالله وبموسى.

— أ. توماس إيجر

أما المكانُ الرابعُ والأخيرُ الذي رحلَ إليه بنو إسرائيلَ فهو ريفيديم في الخروج ١٧: ١-١٨: ٢٧. ينقسمُ هذا الجزءُ الطويلُ نسبياً إلى ثلاثة أحداث. أولاً، في الخروج ١٧: ١-٧، قامَ الشعبُ بتجربةِ اللهِ عندما تدمَّروا مرَّةً أخرى حول الماء. وكان ردُّ اللهِ على هذا التدمرِ بالطلبِ من موسى أن يأخذَ معه شيوخَ إسرائيلَ إلى جبلِ سيناء. أمرَ اللهُ موسى هناكَ بضربِ الصخرةِ فخرجَ منها ماءٌ. ورغمَ هذه المعجزة، ازدادَ تدمرُ بني إسرائيلَ على الله أكثرَ فأكثر. فتساءلوا في العدد ٧ بروح تحدي وتمرد، "أفي وَسَطِنَا الرَّبُّ أَمْ لَأ؟". فحسمت هاتان الحادثتان المسألة.

حتى نفهم كيف تُجيب هاتان الحادثتان عن هذا السؤال، نحتاجُ أن نتذكَّرَ أمراً يعرفه بنو إسرائيلَ جيداً. في التكوين ١٢: ٣، وعدَ اللهُ إبراهيمَ بأنَّه سيباركُ إسرائيلَ ويلعنُ لأعدائِهِمْ. لهذا وتماشياً مع هذا الوعد، في الخروج ١٧: ٨-١٦، عندما هاجمَ عماليقُ بني إسرائيلَ، هزَمَهُم اللهُ ولعنَ عماليق. ثمَّ في آخرِ حادثةٍ وردت في هذا المقطع، في ١٨: ١-٢٧، أتى يثرون إلى موسى مُسألماً. وقد باركَ اللهُ يثرون، لأنه كان بركةً لبني إسرائيل.

تُبيِّن هاتان الحادثتان دونَ أدنى شكٍّ أنَّ الله كان في وسطِ شعبِ إسرائيلَ تماماً كما وعدَ إبراهيم. وإذ تَبَعَ جيشُ إسرائيلَ موسى، حصلوا على حمايةِ حضورِ اللهِ القويِّ في وسطهم. لقد رأينا حتى الآن كيف تتعاملُ بنيةُ الخروجِ ومُحتواهُ أولاً مع سُلطةِ موسى من خلالِ التركيزِ على موسى ونجاةِ إسرائيلَ من مصر إلى جبلِ سيناء. يجب أن ننتقلَ الآن إلى القسمِ الثاني من سفرِ الخروجِ المُمتدِّ من ١٩: ١-٤٠: ٣٨. تُبيِّنُ هذه الإصحاحاتُ سُلطةَ موسى من خلالِ تناولِها لموضوعٍ آخرٍ، وهو استعدادُ موسى وإسرائيلَ لكنعان عند جبلِ سيناء.

الاستعداد لکنعان (الخروج ١٩: ١-٤٠: ٣٨)

إن معظم دارسي الكتاب المقدس على دراية بما حدث لموسى وبني إسرائيل حين نزلوا عند سفح جبل سيناء - وكيف أعطى اللهُ الشعبَ شريعته وخيمته اجتماعه. لكن يخبرنا سفر الخروج القليل عن الأمور التي جرت هناك فعلاً. ونحن ندرك ذلك لأن سفر اللاويين يعلن لنا عدَّة أمور أخرى

حصلت في ذلك الوقت. لهذا السبب، نعلم أنّ هذه الإصحاحات في سفر الخروج انتقائيّة إلى حدّ بعيد. وقد كُتبت لتبرز بعض وجهات النظر عن هذه الأحداث. وكما سنرى لاحقاً، تركّز هذه الإصحاحات بصورة خاصة على كيفية اظهار الله لسلطة موسى على شعب إسرائيل عند جبل سيناء.

ينقسم استعداد موسى وبني إسرائيل لدخول كنعان إلى قسمين رئيسيين. يظهر القسم الأول في الخروج ١٩: ١-٢٤: ١١ ويتناول سلطة موسى والعهد مع إسرائيل. ويشدّد القسم الثاني الممتدّ من ٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨ على سلطة موسى وخيمة اجتماع إسرائيل. لننظر أولاً إلى العهد مع إسرائيل.

العهد مع إسرائيل (١٩: ١-٢٤: ١١)

يُجيب نصُّ سردِ العهدِ مع إسرائيل على سؤالٍ بالغ الأهمية بالنسبة لقراء سفر الخروج الأصليين وهو: لماذا يجبُ على الجيل الثاني للخروج أن يخضع لشريعة العهد الذي تسلّمه أسلافهم من موسى عند جبل سيناء؟ لماذا لا يسلكون طريقاً آخر؟ تُجيبُ الإصحاحاتُ المخصّصة للعهد مع إسرائيل عن هذا السؤال على أربع مراحل. أولاً، في الخروج ١٩: ١-٨، نجدُ استهلالَ عهدِ إسرائيل مع الله.

استهلال العهد (١٩: ١-٨ أ). تُظهرُ هذه الأعدادُ شروطَ العهدِ الموسوي الأساسية: لقد أظهرَ الله إحسانَهُ إلى بني إسرائيل؛ وطالبهم بالولاء له؛ وهو سيُباركهم إن هم أطاعوه. ويختتمُ الخروج في ١٩: ٨ هذه الحادثة بجوابِ بني إسرائيل الحماسيّ بالإجماع: "كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفَعَلْ". وبالطبع، الفكرة واضحة؛ فعلى قراء الجيل الثاني لسفر الخروج أن يحذو حذو أسلافهم. عليهم أن يلتزموا مجدداً بعهدِ الله من خلال موسى بنفس الحماس.

ثقة بني إسرائيل بموسى (١٩: ٨ ب-٢٠: ٢٠). تركّز المرحلة الثانية من سلطة موسى والعهد مع إسرائيل على ثقة بني إسرائيل بموسى كوسيطٍ للعهد مع الله. وتمتدّ من الخروج ١٩: ٨ ب-٢٠: ٢٠. تذكرُ في الخروج ١٩: ٩، أعطى الله هذا الوعد لموسى:

هَآ أَنَا آتٍ إِلَيْكَ فِي ظَلَامِ السَّحَابِ لِيَسْمَعَ الشَّعْبُ جَيْمًا أَتَكَلَّمُ مَعَكَ فَيُؤْمِنُوا بِكَ

أَيْضاً إِلَى الْأَبَدِ. (خروج ١٩ : ٩)

لاحظ هنا قولَ اللهِ إِنَّهُ سَيُظْهِرُ عَلَى جَبَلِ سِينَاءٍ وَيَتَكَلَّمُ مَعَ مُوسَى "فَيُؤْمِنُ الشَّعْبُ بِمُوسَى إِلَى الْأَبَدِ. ثُمَّ تُظْهِرُ الْأَحْدَاثُ التَّالِيَةَ كَيْفَ أَوْفَى اللهُ بِوَعْدِهِ.

يتضمَّنُ الجزءَ الرَّئِيسِيَّ لِهَذِهِ المَرِحَلَةِ سلسلتين متوازيتين حولَ أمرِ اللهِ، طاعةِ موسى والظهورِ الإلهي. تُظْهِرُ السلسلةُ الأولى في ١٩ : ١٠-١٩ عندما أمرَ اللهُ موسى بأن يُعَدَّ إِسْرَائِيلَ لِلِقَاءِ مَعَ اللهِ. أطاعَ موسى أمرَ اللهِ، وكانت النتيجةُ الظهورَ الإلهي الرهيبَ على جبلِ سِينَاءِ-التجليِّ المَجدِ المَرْتِي والمسموعِ لحضورِ اللهِ هناك.

ثمَّ نقرأُ عن السلسلةِ الثانيةِ في الخروجِ ١٩ : ٢٠-٢٥. حيثُ أمرَ اللهُ موسى مجدداً بأن يُعَدَّ الشَّعْبَ وَأطاعَ موسى. ونتيجةً لذلك، يعودُ بنا السردُ القصصي في ٢٠ : ١-١٧ إلى الظهورِ الإلهي على جبلِ سِينَاءِ حيثُ نطقَ اللهُ بالوصايا العشر على مسمعٍ من جميعِ الشَّعْبِ.

وبموازاةِ وعدِ اللهِ في بدايةِ هذا المقطع، يشرُحُ الخروجُ في ٢٠ : ١٨-٢٠ أنّ وعدَ اللهِ لموسى قد تحقَّق. وتصفُ هذه الأعدادُ، بعدما سَمِعَ الشَّعْبُ صوتَ اللهِ من الجبل، كيف ارتعدَ بنو إِسْرَائِيلَ لدرجةِ أن طلبوا ألا يتكلمَ اللهُ معهم مباشرةً. وتوسَّلوا أن يكلمَهُم موسى نيابةً عن اللهِ. وما يتضمَّنُهُ هذا الطلبُ واضحٌ جداً بالنسبةِ لقراءِ الجيلِ الثاني. فقد وثِّقَ أسلافُهُم بموسى كوسيطٍ لشريعةِ العهدِ مع اللهِ، ويجب عليهم أن يتقوا به هم أيضاً.

شريعةُ العهدِ الموسوي (٢٠ : ٢١-٢٣ : ٣٣). أما المرحلةُ الثالثةُ في هذا القسمِ حولَ سلطةِ موسى والعهدِ مع إِسْرَائِيلَ فَنَجِدُهَا في الخروجِ ٢٠ : ٢١-٢٣ : ٣٣. تقدِّمُ لنا هذه الإصحاحاتُ محتوىَ شريعةِ العهدِ الموسوي. تؤكدُ هذه المرحلةُ بأكملها على سلطةِ موسى بإشارتها إلى أن اللهُ بنفسه أمرَ موسى بتسليمِ الشريعةِ إلى شعبِ إِسْرَائِيلَ.

تبدأُ هذه المرحلةُ في ٢٠ : ٢١-٢٦. أمرَ اللهُ موسى هنا بأن يُخَبِّرَ شعبَ إِسْرَائِيلَ عن أحكامِ العبادةِ وفيها إرشاداتٍ عن الأصنامِ والمذابحِ. وتتوسَّعُ هذه الأعدادُ في شرحِ أولِ وصيَّتين من الوصايا العشر. بعدها يَطْلُبُ اللهُ من موسى أن يُخَبِّرَ إِسْرَائِيلَ بمضمونِ كتابِ العهدِ في ٢١ : ١-٣٣ : ٢٣. حتى نفهمَ وظيفةَ وعملَ كتابِ العهدِ في إِسْرَائِيلَ، مَهَّمٌ أَنْ نلاحظَ أَنَّهُ في الخروجِ ٢١ : ١، وصفَ اللهُ كتابَ العهدِ بهذه الطريقةِ:

هَذِهِ هِيَ الْأَحْكَامُ الَّتِي تَضَعُ أَمَامَهُمْ. (خروج ٢١ : ١)

الكلمة العبرية المترجمة هنا "الأحكام" هي "هامشباتيم"، "חַמְשָׁבַתִּים". ويحمل هذا المصطلح دلالات "الأحكام القانونية"، أو ما يمكن أن نسميه "القوانين القضائية".

يقدم لنا هذا التعريف لكتاب العهد توجهاً واضحاً بشأن ثنائية شريعة عهد الله من خلال موسى. وتعتبر الوصايا العشر في جوهرها بمثابة قوانين تشريعية أو مبادئ قانونية عامة في إسرائيل. بينما يقدم كتاب العهد إرشادات قانونية حول شريحة واسعة من المواضيع التي كان ينبغي أن يسلك بموجبها قضاة إسرائيل. يُشبه العديد من هذه الإرشادات أنواع الأحكام التي نجدُها في شريعة حمورابي وفي قوانين أخرى في الشرق الأدنى القديم. وقد صُممت هذه القوانين وكتاب العهد من أجل القضاة، لكي يطبقوها في محاكم شعوبهم.

نجدُ في كتاب العهد العديد من الأحكام الموازية لمجموعات القوانين الأخرى في حضارات الشرق الأدنى القديم من أواخر الألفية الثالثة حتى الألفية الثانية قبل الميلاد. وهي تختلف عنها من حيث أنها أتت ضمن سياق العهد. ومن بين هذه القوانين والشرائع شريعة حمورابي الأشهر والأشمل. إن النمط الذي صيغت فيه هذه الأحكام "إن ... إذن". حيث تقدم "إذن" عادة العقوبة المدنية للحالة المطروحة - إن هذا النمط من الأحكام المُصاغ في الخروج الإصحاح الحادي والعشرين والعدد الأول، يُشبه إلى حد بعيد على ما أظن الإصحاح الثاني والعشرين والعدد السادس عشر التي نجدُ فيها الصيغة الشرطية عينها "إن ... إذن"، والتي تسمى بالصيغة القضائية. عندما ندخل في عمق التفاصيل الفعلية، نرى أن الاختلافات بين مجتمع إسرائيل القديم ومجتمع بابل القديمة، مثلاً مدينة ما في بلاد ما بين النهرين، كبيرة جداً. فمدينة إمبراطورية بابل، كمدينة بابل مثلاً، مُقسمة إلى طبقات اجتماعية عديدة، ففيها الأحرار، أي المولودون أحراراً، وعمامة الشعب والعبيد. لدى هذه المجتمعات أيضاً نظاماً اقتصادياً مختلفاً وأدواراً اقتصادية عديدة في المجتمع. هناك معبدٌ عظيمٌ مؤلفٌ من عدة مبانٍ يلعب دوراً في اقتصاد المدينة ككل. كذلك القصر الملكي مكونٌ رئيسي في المجتمع. وتقترب هذه المجتمعات من المجتمعات الإقطاعية، التي عهدناها في القرون الوسطى. أما مجتمع إسرائيل فيميلُ ليكون مجتمعاً قائماً على المساواة، ليس بالشكل الفردي الذي نعرفه اليوم، لكنّه مؤسسٌ على اقتصادٍ زراعيٍ وتقسيمٍ لملكية الأرض

بحسب القبائل. فلنأخذ إذاً أمام التمايزِ نفسه ولا التقسيمِ الطبقيِّ نفسه الذي نجده
في شريعة حمورابي على سبيل القول.
— د. دوجلاس جرب

إقرار العهد (٢٤: ١-١١). في المرحلة الرابعة والخاتمية لسلطة موسى والعهد مع إسرائيل، يتكلّم ٢٤: ١-١١ عن إقرار العهد. تكملُ المرحلة الرابعة ما بدأ مع استهلال العهد في الخروج ١٩: ١-٨. لاحظ كيف يُردّد الخروج ٢٤: ٣ و٧، ما جاء في ١٩: ٨ حيث أقرّ بني إسرائيل بصوتٍ واحدٍ بالتزامهم بطاعة كلِّ ما أمر به الله.

وأكثر من ذلك، يُصوّر المشهد الأخير من هذه المرحلة كيف صعد قادة إسرائيل إلى جبل سيناء، فأروا الله وأكلوا وشربوا في جوٍّ من الانسجام الرائع معه. فكانت غايةً مشهدةً للسلام والوئام مع الله تبيد كلَّ ترددٍ يمكن أن يكون قد شعر به قراء الخروج الأصليين. كيف يمكنهم اختبار هذا السلام والوئام مع الله؟ فقط من خلال إقرارهم بالسلطان المستمر لشريعة عهد الله من خلال موسى في زمنهم.

الآن بعد أن عرضنا استعداد موسى وإسرائيل لكنعان عند جبل سيناء بالنظر إلى العهد مع إسرائيل في الخروج ١٩: ١-٢٤: ١١، لابد أن ننتقل إلى النقطة الرئيسية الأخيرة من الخروج. يظهر في الخروج ٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨ تركيزاً على سلطة موسى وخيمة اجتماع إسرائيل. وتدعم هذه الإصحاحات سلطة موسى الثابتة بالتركيز على الدور المهم الذي لعبه موسى في تشييد خيمة اجتماع الله.

خيمة اجتماع إسرائيل (٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨)

يظنّ غالبية دارسي الكتاب المقدس أنّ خيمة اجتماع إسرائيل كانت بحجم كنيسة صغيرة للعبادة، لكنّ تشير الاكتشافات الحفرية الحديثة بقوة إلى كونها أكثر من ذلك بكثير. فقد جرت العادة في مصر القديمة أن يخرج الفراعنة إلى المعركة مع جيوشهم. وحين يقومون بذلك، كانوا يسكنون في خيمٍ مشيدة وامتعة، كما لو أنها قصور متنقلة. وكانت خيم الحرب الملكية هذه تتألف من غرفٍ داخلية وخارجية مغطاة، وتحيط بها ساحة خارجية. في هذه الخيم، يقم الجنود الولاء لملكهم ويتلقون منه الأوامر والتوجيهات. وعلى هذا النحو، يقم سفر الخروج خيمة الله باعتبارها أكثر من مجرد كنيسة صغيرة للعبادة. فهي خيمة حربه الملكية. وهكذا، في هذه الخيمة كان جيش إسرائيل يقم ولاءه

لملكه الإلهي وكان ملك إسرائيل الإلهي يعلن فيها لجيش إسرائيل عن توجيهاته.

التعليمات حول خيمة الاجتماع (٢٤: ١٢-٣١: ١٨). ينقسم سجل سلطة موسى وخيمة اجتماع إسرائيل إلى ثلاثة أجزاء رئيسية. يتألف الجزء الأول، في الخروج ٢٤: ١٢-٣١: ١٨ من التعليمات التي أعطها الله لموسى حول خيمة الاجتماع.

تبدأ تعليمات الله لبناء خيمة الاجتماع في الخروج ٢٤: ١٢-١٨ مع دعوة الله لموسى ليتسلم الوصايا العشر على لوحَي الحجارة.

ثم تَظْهَرُ تعليماتٌ محدّدةٌ من الله لبناء خيمة الاجتماع في ٢٥: ١-٣١: ١٧. وقد تضمّنت هذه التعليمات وصفاً مفصلاً لأثاث خيمة الاجتماع وطريقة تشييدها. كذلك أملى الله على موسى إرشادات تختصّ بخدّام خيمة الاجتماع والممارسات المتعلقة بها بما في ذلك توجيهات إلى الكهنة، والحرفيين، والعمال الماهرين. وأعطى الله تعليمات مباشرة تتعلق بيوم السبت. يعكس عددٌ وطولُ هذه التفاصيل مدى أهمية التقيد ببعض الأنظمة في خيمة الله الحربية الملكية.

ثم بعدَ هذا الجزء الرئيسي من التعليمات، نقرأ عن نجاح موسى في استلام لوحَي الحجارة الذين نُقِشتَ عليهما الوصايا العشر في الخروج ٣١: ١٨. وتختتم معه تعليمات الله المتعلقة بخيمة الاجتماع.

أشارَ اللهُ بوضوحٍ، في عدّة مناسباتٍ في هذا الجزء، إلى حقيقة أنّ توجيهاته لم تكن موجّهةً إلى شعب إسرائيل عند جبل سيناء فحسب، بل لقرّاء الجيل الثاني لسفر الخروج أيضاً. في مقاطع مثل الخروج ٢٧: ٢١؛ ٢٨: ٢٣؛ ٢٩: ٩ و٤٢؛ ٣٠: ٢١؛ ٣١: ١٦، استخدمَ اللهُ جملةً "قريضةً أبديةً للأجيال القادمة" مع بعض التغييرات. وهذا يُشيرُ كيفَ أنّه على الأجيال القادمة أن تتقيّدَ بجوانبٍ مختلفةٍ من تعليماتِ الله المتعلقة بخيمة الاجتماع. وبالطبع، كان الهدفُ من هذه الكتاباتِ واضحاً بالنسبة للقرّاء الأصليين. فقد كان عليهم أن يتبعوا تعليماتِ الله بشأن خيمة الاجتماع في يومهم أيضاً.

هناك عددٌ من أوجه التشابه في التقنيّة المستخدمة في بناء خيمة الاجتماع، كما يصفها سفر الخروج. حيث تُجمَعُ الخيمةُ بأعمدتها وقواعدها ثم تُفكُّ وتُحمَلُ لتُنصَبَ في مكانٍ آخر، الأمر الذي يجعلها خيمةً متنقّلةً بشكلٍ فعّالٍ. وهناك أوجه تشابهٍ نجدها في العديد من حقبات الحضارة المصرية، إلّا أنّ التشابه الصارخ هو في نقشٍ داخل معبد أبو سُمبل يظهرُ فيه رمسيس الثاني في معركة قادش، إنه

نقشٌ يُخلدُ ذِكْرَ معركةِ قَادِشِ التي يَزْعُمُ رمسيسُ أَنَّهُ انتصرَ فيها، لكنَّ يعتقدُ معظمُ العلماءِ بأنَّ الحظَّ حالفهُ حتَّى تمكَّنَ من الخروجِ منها حيًّا. لكن يوجد نقشٌ على جدارِ أبو سُمبلٍ يُظهرُ خيمتهُ، خيمتهُ العسكريَّةُ التي يبدو أن لها مقاساتُ خيمةِ الاجتماعِ ذاتها، بالإضافةِ إلى غرفةٍ داخليةٍ مربعةٍ، التي لا بد أنها بلاطُ عرشه، ثم نجدُ رواقاً طويلاً طوله ضِعْفُ طولِ الغرفةِ الداخليَّةِ، وساحةً خارجيةً مستطيلةً تُشبهُ إلى حدِّ بعيدِ الساحةَ الخارجيَّةَ المستطيلةَ التي تُحيطُ بخيمةِ الاجتماعِ. بإمكاننا أن نرى في النقشِ أيضاً أنَّ فرقةَ العسكريَّةِ الأربعةَ متمركزةً حولَ جهاتِ معسكره الأربعةِ مثلما يصفها سفرُ العددِ، حيث كانت خيمةُ الاجتماعِ محاطةً أولاً باللّويين ثم ببقيَّةِ الأسيابِ على الجهاتِ الأربعةِ كلُّ ثلاثةِ أسيابٍ على جهةٍ.

— د. دوجلاس جرب

إخفاق وتجديد (٣٢: ١-٣٤: ٣٥). بعد تعليماتِ اللهِ حول خيمةِ الاجتماعِ، روى موسى

إخفاقَ وتجديدِ بني إسرائيلِ عند سَفْحِ جبلِ سيناءِ في الخروجِ ٣٢: ١-٣٤: ٣٥.

تتقسّمُ هذه الإصحاحاتُ إلى ثلاثةِ مراحلٍ رئيسيةٍ. فنقرأ في ٣٢: ١-٣٥ عن كَسْرِ بني إسرائيلِ لعهدهم مع اللهِ بعبادتهم للعجلِ الذهبي عند جبلِ سيناءِ. وتوكِّدُ هذه الإصحاحاتُ على سلطةِ موسى، لأنَّهُ جعلَ نفسه واحداً مع إسرائيلِ وتشفَّعَ لأجلهم. قام موسى، معرضاً حياته للخطر، بالتوسُّطِ للشعبِ أمامَ اللهِ فكسِبَ عطفه، ولم يهلكِ اللهُ الشعبَ تماماً.

تأتي بعد ذلك المرحلةُ الثانيةُ، في الخروجِ ٣٣: ١-٢٣، والتي نرى فيها تهديدَ الربِّ بالانسحابِ من وَسَطِ شعبه. فبعد أن تراجعَ اللهُ عن إهلاكهِ للشعبِ على الفور، أمرَ اللهُ موسى أن يتقدّمَ في المسيرةِ. لكنَّ توعَّدَ اللهُ أن ينزعَ حضوره لئلا تفتنى إسرائيلُ في الطريقِ. لكن وقفَ موسى مرَّةً أخرى إلى جانبِ الشعبِ وتضرَّعَ بنجاحٍ من أجلِ إسرائيلِ وأزالَ التهديدَ بشأنِ حضورِ اللهِ.

تتحدّثُ المرحلةُ الثالثةُ من هذا القسمِ، في ٣٤: ١-٣٥، عن تجديدِ عهدِ اللهِ مع إسرائيلِ. فقد أكَّدَ اللهُ أَنَّهُ سييسِّرُ أمامَ بني إسرائيلِ إلى كنعانِ عن طريقِ تجديدِ عهدهِ معهم. ويرفعُ هذا الإصحاحُ من شأنِ موسى كقائدِ لبني إسرائيلِ، إذ نقرأ فيه عن شفاعاتِ موسى الفعّالةِ من أجلِ الشعبِ خلال تجديدِ العهدِ.

اكتمال خيمة الاجتماع (٣٥: ١-٤٠: ٣٨). أخيراً، يصلُ الجزءُ الذي يتناولُ سلطَةَ موسى

وخيمة اجتماع إسرائيل إلى نهايته مع اكتمال خيمة الاجتماع في الخروج ٣٥: ١-٤٠: ٣٨. تبدأ هذه الإصحاحات بالتذكير بحفظ السبت في ٣٥: ١-٣. ثم كلف الله موسى بتشديد وتشغيل خيمة الاجتماع في ٣٥: ٤-٣٩: ٤٣. ويصف الخروج في ٤٠: ١-٣٣ تشييد خيمة الاجتماع الفعلي. وتظهر التفاصيل في هذه الأعداد كيف يتطابق تشييد خيمة الاجتماع، خيمة الله الحربية الملكية، مع تعليمات الله السابقة تماماً. وينتهي هذا الجزء في ٤٠: ٣٤-٣٨ مع مباركة الله لإسرائيل كنتيجة لاكمال خيمة الاجتماع.

ويركز هذا المشهد الأخير لمباركة الله لإسرائيل مرة أخرى على سلطة موسى. فهو يشجع القراء الأصليين على الخضوع لموسى من خلال الالتزام بكل مراسيم خيمة الله، لكي يحصلوا هم أيضاً على بركة الله. استمع إلى الخروج ٤٠: ٣٦-٣٨ آخر أعداد السفر:

وَعِنْدَ اِرْتِفَاعِ السَّحَابَةِ عَنِ الْمَسْكَنِ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَرْتَحِلُونَ فِي جَمِيعِ رِحَالَتِهِمْ.
وَأَنَّ لَمْ تَرْتَفِعِ السَّحَابَةُ لَا يَرْتَحِلُونَ إِلَى يَوْمِ اِرْتِفَاعِهَا لِأَنَّ سَحَابَةَ الرَّبِّ كَانَتْ عَلَى
الْمَسْكَنِ نَهَارًا. وَكَانَتْ فِيهَا نَارٌ لَيْلًا أَمَامَ عْيُونِ كُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ
رِحَالَتِهِمْ. (خروج ٤٠: ٣٦-٣٨)

ختم موسى سفره بمجموع رحلات بني إسرائيل المجيدة نحو أرض كنعان. وأشار إلى استمرار حضور الله، لأن الجيل الأول خضع لتعليمات موسى بشأن خيمة الاجتماع. وكان بإمكان قراء الجيل الثاني رؤية حضور الله المهيّب بأعينهم. وإن كانوا يرجون أن يحافظوا على حضور الله في وسطهم بينما يرحلون ليمتلكوا أرض الموعد، فلا بد أن يخضعوا لتعليمات موسى بشأن خيمة الاجتماع - تعليمات خيمة الحرب الملكية التي لملكهم الإلهي.

الآن بعد أن اطلعنا على بعض الاعتبارات الأولية وعلى بنية الخروج ومحتواه، يجب أن ننقل إلى موضوعنا الرئيسي الثالث: المواضيع الرئيسية لهذا السفر. ما هي بعض أهم المسائل في سفر الخروج التي كان لها أثرٌ على حياة القراء الأصليين؟ وكيف يمكن تطبيق هذه المواضيع الرئيسية على أتباع المسيح اليوم؟

المواضيع الرئيسية

لقد أشرنا طوال هذا الدرس إلى كون سفر الخروج قد كُتب ليسلط الضوء على سلطة موسى

الثابتة على شعب إسرائيل. ومهما بلغت أهمية هذا الموضوع، لا بدّ أن نُبقي في ذهننا دائماً أنّه ليس الموضوع الوحيد في السفر. فبينما تدافع هذه النصوص المقدّسة عن سلطة موسى، تقوم بذلك عن طريق لفت انتباهنا إلى قضايا أخرى متعلّقة بهذا الموضوع البارز الذي يوحد هذه النصوص جميعاً.

بالإضافة إلى سلّطة موسى، نجدُ في الواقع أن سفر الخروج يتسجّ مواضيعاً مختلفةً عديدةً معاً، يمكن تلخيصها بعد طرقٍ مختلفة. لكن إحدى الطرق التي تساعدنا في تلخيص المواضيع الرئيسيّة في سفر الخروج هي أن نستكشف كيف يشدّد هذا السفر على ملكوت الله. في الواقع يتكرّر هذا الموضوع عبر الكتاب المقدّس، وهو يبلغ ذروته في العهد الجديد، لذلك فهو موضوع مهمّ بالنسبة لنا حتى نلق عليه نظرة في هذا السفر. قد يغفل المسيحيون المعاصرون في بعض الأحيان هذا الجانب من سفر الخروج، لكننا نعلم جميعاً أنّ سفر الخروج يتحدث عن زمنٍ شكّل فيه الله إسرائيل كشعب أمينٍ عند جبل سيناء، وأعدّهم ليصبحوا مملكةً في أرض الموعد ومن ثمّ، مملكةً تمتدّ إلى كلّ العالم. لذا يمكننا رؤية هذا التركيز على ملكوت الله في السفر، إلّا أنّ إحدى أفضل الطرق لنرى ذلك هي بالنظر إلى كيف يُصوّر سفر الخروج الله. فالله هو شخصيّة رئيسيّة في سفر الخروج، ويخبرنا السفر الكثير عنه، لكنّه يشدّد في المقام الأول على كون الله هو ملك إسرائيل.

— د. ريتشارد برات، الابن

إن سفر الخروج هو أول سفر في الكتاب المقدّس يُشير بشكلٍ صريحٍ إلى الله كملك. في الخروج ١٥: ١-١٨، بعد أن عبر بنو إسرائيل البحر الأحمر على اليابسة، ربّّم موسى والشعبُ تسيحةً للربّ. وقد أُخبرت هذه التسيحة عن اختبارات الجيلين الأوّل والثاني للخروج. فهي تركّز على تحرير الله لبني إسرائيل من مصر في الماضي، وأيضاً على نجاح إسرائيل في امتلاك أرض كنعان والاستيطان فيها في المستقبل. واللافت للنظر أن كلمات موسى الأخيرة التي أنشدّها عند البحر جمعت بين التحرير من مصر في الماضي واكتساب أرض كنعان والاستيطان فيها في المستقبل تحت ملك الله. استمع إلى الخروج ١٥: ١٨ حيث لخصّ موسى تسيحته لله بهذه الكلمات:

الرَّبُّ يَمْلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ. (خروج ١٥: ١٨)

وكما يُشير هذا العدد، فإن أعمالَ اللهِ القديرةِ في الجيلينِ الأول والثاني للخروج تُظهرُ مجدهُ كاللهِ ملكِ إسرائيلِ الذي "يَمْلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ".

في ضوء ذلك، من المفيد أن نعرضَ بترتيبِ المواضيعِ الرئيسيّةِ في سفرِ الخروجِ من خلال أربعِ طرقٍ يركّزُ فيها على مُلكِ اللهِ في أيامِ موسى. أولاً، سندرسُ عن اللهِ كملكِ إسرائيلِ حافظِ العهدِ في الخروجِ ١: ١-٤: ٣١. ثانياً، سنرى كيف يُولي سفرُ الخروجِ اهتماماً خاصاً لله كملكِ إسرائيلِ رجلِ الحربِ المنتصرِ في الخروجِ ٥: ١-١٨: ٢٧. ثم سنبحثُ في موضوعِ اللهِ كالمُلكِ مشرّعِ العهدِ في الخروجِ ١٩: ١-٢٤: ١١. وأخيراً، سننظرُ في موضوعِ اللهِ كرجلِ الحربِ الحالي لإسرائيلِ في الخروجِ ٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨. لننظرِ إلى كلِّ من هذه المواضيعِ، بدءاً من الله كالمُلكِ حافظِ العهدِ.

حافظ العهد (١: ١-٤: ٣١)

على الرُغم من كونِ موضوعِ اللهِ كملكِ إسرائيلِ حافظِ العهدِ يتكرّرُ على طولِ سفرِ الخروجِ، لكنّه يَظهرُ بشكلٍ بارزٍ في الخروجِ ١: ١-٤: ٣١. وتسرّدُ هذه الإصحاحاتُ أحداثاً من قبلِ ولادةِ موسى إلى صعودِ موسى كقائدٍ على إسرائيلِ. استمع على سبيلِ المثالِ إلى الخروجِ ٢: ٢٤ حيثُ نقرأ:

فَسَمِعَ اللهُ [أَنِينَ بني إسرائيلِ] فَتَذَكَّرَ اللهُ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ.
(خروج ٢: ٢٤)

إن هذا العددُ مهمٌّ لأنّه بمعزلٍ عن الإشارةِ الوجيهةِ إلى إحسانِ اللهِ إلى القابلتينِ اللتين خافتا، فهذه هي المرّةُ الأولى التي تردُ فيها كلمةُ اللهِ في سفرِ الخروجِ. فمنذ البداية، يُصوّرُ سفرُ الخروجِ اللهَ كملكِ حافظِ العهدِ الذي "يتذكّرُ ميثاقه".

في كلِّ مرّةٍ يردُ في الكتابِ المقدسِ ذكراً للهِ وعهوده، نرى تركيزاً ضمناً عليه كإلهِ إسرائيلِ الملكِ. صنع اللهُ، في زمنِ الكتابِ المقدسِ، عهوداً مع الشعبِ تُشبهُ معاهداتِ الملوكِ العظماءِ في الشرقِ الأدنى القديمِ التي كانوا يقيمونها مع الشعوبِ الأخرى. ونسمي هذه المعاهداتُ الدوليةَ اليومَ "معاهداتٌ بين السيدِ والتابع". في هذه المعاهداتِ، يُقيمُ الملوكُ العظماءُ، أو الأسيادُ، اتفاقياتٍ مقدّسةً مع الملوكِ الأقلِّ شأناً منهم أو التابعين وشعوبهم. وقد أدركَ بنو إسرائيلِ أنّ اللهَ كحافظِ عهدِ إسرائيلِ

الأمين، هو أيضاً الله ملكهم. وقد أتمَّ عهدَه الذي قطعَه مع آباءِ إسرائيل من خلال ما صنعه في أيام موسى. من هنا، لم يكن عهدُ الله مع موسى مناقضاً للعهدِ التي قطعها مع الآباء. بل على العكس كان إتماماً لها. استمع إلى الكلمات التي يركِّز عليها الخروج في ٣: ١٤-١٥ حيث كشفَ اللهُ لموسى عن اسمه:

أَهِيَهُ الَّذِي أَهِيَهُ. هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: "أَهِيَهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ... الرَّبُّ، إِلَهُ آبَائِكُمْ
إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ". (خروج ٣: ١٤-١٥)

لاحظ هنا أن الله أخبرَ موسى أن يُعرِّفَ عنه لبني إسرائيل في مصر بثلاثة أسماء: "أهيه الذي أهيه"، "أهيه"، و"الرَّبُّ".

وحتى نفهم علاقةَ هذه الأسماءِ الثلاثةِ بالله كملكٍ حافظٍ العهد، نحتاج أن نفهم أن هذه الأسماءِ الثلاثةِ هي مصطلحاتٌ مختلفةٌ للفعلِ العبريِّ عَيْه "هايا" הָיָא . غالباً ما تُترجمُ هذه الكلمةُ إلى إحدى صيغِ الفعلِ "أكون". ويمكن ترجمةُ الفعلِ العبريِّ إلى "أهيه الذي أهيه" - أو "سأكون من سأكون" - أما الصيغةُ الأقصر، "أهيه أو "سأكون"، فتتضمَّن صيغةً المتكلمَ لهذا الفعل. أما الاسمُ المترجمُ إلى "رب" فيتطلبُ شرحاً أكثر.

إنَّ التعبيرَ "رب" هو ترجمةٌ لما يُطلقُ عليه "الاسمُ الرباعيُّ" لله، أي اسمُ الله ذو الأربعةِ أحرف في اللغةِ العبريةِ والذي غالباً ما يُدوَّن بكلمةِ "يهوه". وقد أظهرت الاكتشافاتُ الحفريَّةُ الحديثةُ أنه يجب أن يكون لفظُ الاسمِ "يهوه". والاسمُ يهوه يُترجمُ غالباً إلى "رب". لكنَّه في الواقع صيغةُ الغائبِ للفعلِ "هايا" ويمكن ترجمته إلى "هو يكون" أو "هو سيكون". في الواقع، وفق اصطلاحاتِ معيَّنةٍ للغةِ العبريةِ، من المحتمل أن يعني هو يوجد أو هو سيوجد. وهكذا يمكن ترجمة "أهيه الذي أهيه"، "أنا أوجد من أوجد". ويمكن ترجمة "أهيه" "أنا أوجد".

وإذا افترضنا أن هذا الفهم صحيحٌ، فاسمُ يهوه في هذه الأعداد، والأسماءِ المقترنة به، يشير مباشرةً إلى حقيقة أن الله هو سببُ وجودِ وعودِهِ. بكلماتٍ أخرى، هو من كان يحفظُ وعودَهُ لآباءِ إسرائيل بتحقيق تلك الوعود.

ليس من الصعب أن نرى تركيزَ موسى على حقيقة أن الله كان يتممُّ وعودَ عهده بكلِّ أمانةٍ. في التكوين ١٥: ١٤، وعدَ اللهُ بأن يحزَّرَ شعبَ إسرائيل من الشقاءِ في أرضٍ غريبةٍ. وكان على قراء موسى أن يعلموا أن الله يُحقِّقُ وعده في أيامهم. كانوا بحاجة لإدراك أن كلَّ بركةٍ في الماضي والحاضر والمستقبل هي بفضلِ الله ملكهم الذي يحفظُ عهده مع آبائهم.

ينطبق هذا الأمر على أتباع المسيح من عدة نواحٍ. فالله يحفظُ عهدهَ التي قطعها مع آباءِ إسرائيل في ماضيها، وفي حاضرنا، ومستقبلنا أيضاً. تُعلِّمنا مقاطعٌ مثلُ لوقا ١: ٦٨-٧٣ أنّ الإتمامَ النهائيَ لعهدِ الله مع إبراهيم بدأ في تأسيسِ ملكوتِ المسيح عند مجيئه الأول. كذلك تُخبِّرنا مقاطعٌ مثلُ غلاطية ٣: ١٥-١٨ أنّه خلالَ استمراريةِ ملكوتِ المسيح، يجب أن نستمرّ بالثقةِ بالله وبعوده لإبراهيم. كذلك، تُعلِّمنا مقاطعٌ مثلُ رومية ٤: ١٣ أنّه عندَ اكتمالِ ملكوتِ المسيح، فإنّ المكافأةَ المجيدةَ الأبديةَ التي سنحصلُ عليها في المسيح ستكون تحقيقاً لوعدِ الله لآباءِ إسرائيل.

نحن في المسيح. والمسيحُ هو الوريثُ لعهدِ إبراهيم. ولن يفشلَ الله في حفظِ عهدهِ مع إبراهيم. نجدُ هذه التطبيقاتاتُ على عالمنا وأخرى مشابهةً لها في كلِّ مقطعٍ من الخروج يُظهرُ الله كملكِ إسرائيل الحافظِ للعهدِ.

يُبيِّن سفرُ الخروج أنّ الله أمينٌ لعهدِهِ دائماً، لأنّه حتى عندما تمردَ بنو إسرائيل على موسى ولم يعطوا اعتباراً لما صنعهُ الله معهم في الماضي، أبقى الله على وعودِهِ بتحريرهم. لم يكن الله ليتراجعَ عن وعدهِ بسببِ تمردِهِم ومعصيتِهِم، بل كان ينبغي أن يُحقِّقَ الهدفَ الذي وضعهُ، وهو أن يُحرِّرَهُم. وهذا هو الهدفُ الذي وضعهُ الله لنا جميعاً بأن يُقربنا منه. ومهما ابتعدنا عنه، يحاولُ الله باستمرارٍ أن يردنا إليه. ومهما كنّا مُحطِّمين، يقتربُ منا ليُصلِحَ ما انكسرَ فينا ولكي يُعيدنا إلى الديار. لذا فإنّ سفرَ الخروج هو صورةٌ عن الحياةِ التي دعانا الله إليها. وهو حاضرٌ ليحرِّرنا. في الواقع إن سفرَ الخروج هو سفرُ التحرير. فالبشرُ سقطوا وبجاجةٍ لمن يُحرِّرهم، ونحن نَسْقُطُ كلَّ يومٍ، والله يُحرِّرنا. هو متخصصٌ في استعادتنا إليه حتى عندما نكونُ هاربين من نعمته.

— ق. د. كبريان جوشيندا

بالإضافة إلى الموضوع الرئيسي عن الله كملكٍ حافظٍ للعهدِ مع إسرائيل، يجب أن نُشيرَ إلى تركيزِ الخروج على الله كملكِ إسرائيل رجلِ الحربِ المنتصرِ في الخروج ٥: ١-١٨: ٢٧.

رجلِ الحربِ المنتصرِ (٥: ١-١٨: ٢٧)

تُظهرُ الاكتشافاتُ الحفريةَ لكلِّ إمبراطوريةٍ رئيسيةٍ في زمنِ موسى كم كان شائعاً بالنسبةِ

لمقامي الملك البشري والإلهي أن يرتبطا بالانتصار في الحرب. من هنا، حتى التلميح البسيط إلى الله كرجل حرب إسرائيل المنتصر، كان بمثابة إشارة إلى كونه ملك إسرائيل المنتصر أيضاً. سننظر إلى الله كملك إسرائيل رجل الحرب المنتصر أولاً، عندما كان موسى في مصر. ثم سندرس هذا الموضوع عندما كان موسى وبنو إسرائيل في المسيرة من مصر إلى سيناء. لنبدأ مع موسى في مصر.

في مصر (٥ : ١-١٣ : ١٦)

يظهر هذا الموضوع طول سفر الخروج، لكننا نراه على وجه الخصوص في مرحلة تحرير إسرائيل في ٥ : ١-١٣ : ١٦. فدينونات الله فوق الطبيعية ضد مصر لم تُعزز سلطة موسى فحسب؛ بل أظهرت انتصار الله كملك إسرائيل رجل حرب. في الخروج ١٢ : ١٢، لخص الله أهمية ضربته العظمى، ضربة الفصح، كالتالي:

فَإِنِّي أَجْتَازُ فِي أَرْضِ مِصْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ وَأَضْرِبُ كُلَّ بَكْرٍ فِي أَرْضِ مِصْرَ مِنَ النَّاسِ
وَالْبَهَائِمِ. وَأَصْنَعُ أَحْكَاماً بِكُلِّ آلِهَةِ الْمِصْرِيِّينَ. أَنَا الرَّبُّ. (خروج ١٢ : ١٢)

لاحظ في هذا العدد، أن الله يعلن عن نفسه بقوله "أنا الرب"، أو "أنا يهوه". يُعرّف الله عن نفسه هنا أيضاً كالذي يتذكّر عهده عن طريق تحقيقه له. فملك إسرائيل رجل الحرب المنتصر، سيضرب الله "كُلَّ بَكْرٍ مِنَ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ". بكلمات أخرى، سيقوم بتدمير المصريين ومجتمعهم لأنهم جعلوا أنفسهم أعداء له. وإلى جانب هذه الناحية البشرية للحكم الإلهي، "سيصنع الله أحكاماً بكلّ آلهة المصريين". سيهزم الله الآلهة المزيفة، تلك الأرواح الشريرة التي عبدها المصريون.

بإمكاننا أن نرى هذه الثنائية في دينونات يهوه فوق الطبيعية التي صنعها فرعون والمصريين. فعالية هذه الدينونات، إن لم تكن جميعها، حققت انتصاراً على إله أو أكثر من آلهة المصريين المزيفة. على سبيل المثال، عندما تحولت عصا هارون إلى ثعبان وابتلعت ثعابين سحرة فرعون، لم يكن ما حصل انتصاراً على فرعون فحسب، بل انتصاراً على القوة الإلهية الممثلة بأفعى الكوبرا والتي تُزيّن تاج فرعون. وعندما حول الله مياه النيل إلى دم، أثبت جبروته على آلهة وإلهات المصريين التي ارتبطت بالنيل مثل حابي وسوبيك المصورين في هيئة تماسح، وخنوم وحات محبت المرموز إليهما بالسمكة. وأظهرت ضربة الضفادع قوة الله على حقات الإلهة المصرية المصورة

بامرأة برأسٍ ضفدع. لسنا نعلمُ عن آلهةٍ مصريةٍ ارتبطت بصورةٍ مؤكَّدةٍ بضربةِ البعوض. لكن قدّم العلماءُ بعضَ الاقتراحاتِ في هذا الموضوع، مثلُ أن تكون هذه الضربةُ موجَّهةً لهزيمةِ جب، إله الأرض. وربما كان الغرضُ من هذه الضربةِ إذلالاً لكهنةِ المصريين وسحرَتهم. أمّا ضربةُ الذبَّانِ فربما كانت موجَّهةً ضدَّ الإلهِ خبري الذي يُصوَّرُ غالباً في هيئةِ الخنفساءِ الطائرة. وأظهرَ موتُ المواشي قدرةَ الله على مجموعةٍ من الآلهةِ المصوَّرةِ في هيئةِ عجولٍ مثلِ أبيس، وبوخيس، ومنفيس، وبتاح ورع وأيضاً إيزيس ملكةُ الآلهةِ وحتحور إلهةُ الجمالِ والحبِّ. فهاتانِ الإلهتانِ مصوَّرتانِ في هيئةِ بقرةٍ. كذلك كانت ضربةُ الدماملِ إعلاناً عن قدرةِ الله على سخمت وإمحتب اللذين كانا مرتبطينَ بالمرضِ والشفاء. أظهرت ضربةُ البردِ قدرةَ الله على نوت إلهةِ السماءِ وشو الإلهُ الذي حملَ السماء. وكان الجرادُ تحدياً لسينهم الإلهُ الذي يحمي من الأوبئة. بينما أظهرت ضربةُ الظلامِ قدرةَ يهوه على رع أو أمون رع إلهِ الشمسِ العظيم. أمّا الضربةُ الختاميةُ التي جلبتِ الموتَ على كلِّ مولودٍ بكرٍ في مصر كانت تحدياً لمين وإيزيس الآلهةُ المرتبطةُ بالإنجاب. فكما تُشيرُ هذه الروابطُ، لم تثبت دينوناتُ الله فوقَ الطبيعيةِ في مصر انتصاره على أعدائهِ البشريينِ فحسب، بل أيضاً على أعدائهِ الروحيينِ، على قوىِ الشيطان.

لقد درسنا موضوعَ الله كملكِ إسرائيلِ رجلِ الحربِ المنتصرِ عندما كان موسى بعدُ في مصر. إلّا أنّ انتصارَ الله على أعدائهِ البشريينِ والروحيينِ يَظْهَرُ أيضاً عندما كان موسى وبنو إسرائيلِ في مسيرتهم نحو سيناء في الخروج ١٣: ١٧-١٨: ٢٧.

في المسيرة (١٣: ١٧-١٨: ٢٧)

لا شك، أنّ حقيقةَ قيادةِ الله لجيشِ إسرائيلِ وسطَ المشقاتِ في الطريقِ إلى جبل سيناء تُظْهَرُ الله كملكِ إسرائيلِ رجلِ الحرب. لكن ربّما الطريقةُ الأفضلُ لشرحِ هذا الجانبِ من سفرِ الخروج هي بالعودةِ مجدداً إلى الأثنودةِ التي رثمها موسى عند البحرِ الأحمر. استمع إلى الخروج ١٥: ٣-٤ عندما أنشد موسى:

الرَّبُّ رَجُلُ الحَرْبِ. الرَّبُّ اسْمُهُ. مَرْكَبَاتِ فرعونَ وَجَيْشُهُ ألقاهما في البَحْرِ. (خروج ١٥: ٣-٤)

يعرّف موسى يهوه هنا بكلِّ وضوحٍ "رجلِ الحرب"، ثمَّ يعودُ ويكرّرُ أنّ "يهوه اسمه". كان

هذا الارتباط الوثيق بين اسم الله والله كرجل الحرب أساس العبارة المألوفة التي نقرأها في العهد القديم "رب الجنود" أو "يهوه الجيوش". وكما يُشيرُ اسمه، الله، الملكُ رجلُ الحرب، هو من صنع الجنود أو الجيوش، وهو هزم أعداءه. وهزم في هذه الحالة، "مركبات فرعون وجيشه" بإلقائهم "في البحر". ثم في الخروج ١٥: ١١، يعرفنا موسى أيضاً على الناحية الروحية لانتصار الله عندما يقول:

مَنْ مِثْلَكَ بَيْنَ الْإِلَهَةِ يَا رَبُّ؟ مَنْ مِثْلَكَ مُعْتَرِّاً فِي الْقَدَاسَةِ مَخُوفاً بِالتَّسَابِيحِ صَانِعاً
عَجَائِبٍ؟ (خروج ١٥: ١١)

لم يُظهر انتصارُ الله قدرته على جيشِ المصريين من البشرِ فحسب، بل أعلن أيضاً عن انتصاره على آلهة المصريين المزيقة.

ما معنى أن يكونَ اللهُ رجلاً الحربِ المنتصر؟ في العالم القديم، يعني ذلك في الأساس أن الله هو ربُّ الخليفة والملك الحقيقي. وهذا بالتحديد ما نراه في الخروج الإصحاح الخامس عشر والعدد الحادي عشر، حيث يسأل سؤالاً مهماً في أنشودة الحمد: "مَنْ مِثْلُ الرَّبِّ؟" والجواب هو ليس أحدٌ مثله. ليس أحدٌ وتحديداً ليس آلهة أو إلهات أخرى مثل الله. إذاً هذا ما نعنيه عندما نتكلم عن الله كرجل الحرب المنتصر، إنه تصريحٌ قويٌّ في زمنٍ عرفَ البشرُ فيه مئات الآلهة التي كانت تتنافس على اسم الله. والكتاب المقدس بارعٌ فعلاً في معالجة الموضوع. فيسأل "مَنْ مِثْلُ الرَّبِّ؟" والجواب هو لا أحدٌ، والمقصودُ هنا: قد تظنُّ أن ثمة آلهة أخرى، لكن في نهاية المطاف، هناك كائنٌ واحدٌ يستحقُّ أن يُدعى اللهُ، وهو الربُّ. ثم ينتهي الخروج الإصحاح الخامس عشر بجملة "الرَّبُّ يَمَلِكُ إِلَى الدَّهْرِ وَالْأَبَدِ". وهذا هو رجل الحرب الذي نريده أن يقاتل عنا.

— د. بريان راسل

شدَّد سفرُ الخروج على انتصارِ يهوه على فرعون وآلهته المزيقة ليمنح الجيل الثاني من القراء ثقةً بالله. فالله قادرٌ على هزيمة أعدائهم البشريين والروحانيين أيضاً. عرفوا كيف حارب الله عن أسلافهم في الأزمنة الماضية. وبذلك صاروا على يقينٍ بأنه سيُجلبُ لهم النصرَ في المستقبل بينما

يدخلون لامتلاك أرض كنعان.

بالطريقة ذاتها، بينما يتعلّم المسيحيون عن انتصار الله في سفر الخروج، يمكننا أن نتأمل في تعليم العهد الجديد عن انتصار المسيح. يتعلّم العهد الجديد في مقاطعٍ مثل متى ١٢: ٢٨-٢٩، يوحنا ١٢: ٣١، وكولوسي ٢: ١٥، أنّ المسيح لعبَ دورَ إلهنا الملكِ رجلِ الحربِ عندما أسس ملكوته. لكن عندما غلبَ يسوعُ الشيطانَ وآلهةَ العالمِ المزيفة، منحَ برحمته جميعَ الذين أسلموا أنفسهم إليه الغفرانَ والمصالحةَ مع الله.

ونعلمُ من مقاطعٍ مثل ١ كورنثوس ١٥: ٢٥، العبرانيين ١: ٣، و ١ بطرس الأولى ٣: ٢٢ أنّ يسوعَ هو ملكنا المنتصرُ رجلُ الحربِ خلالَ فترةِ استمراريةِ ملكوته. لذا نحن مدعوونَ عبرَ تاريخ الكنيسة أن نَحذو حَذوَ المسيحِ في هزيمةِ الشيطانِ وسائرِ الأرواحِ الشريرةِ في العالم. ونحن مدعوونَ أيضاً للاستمرارِ في منحِ الغفرانِ والمصالحةِ مع الله من خلالِ الإيمانِ بالمسيح.

أخيراً، في مقاطعٍ مثل ٢ تسالونيكي ١: ٦-٧، العبرانيين ١٠: ٢٧، و ٢ بطرس ٣: ٧، نجدُ أنّه عندَ اكتمالِ ملكوته، سيعودُ المسيحُ مرّةً أخرى كالإلهِ الملكِ رجلِ الحربِ. لكن عندَ عودته، سينتهي عرضُ المسيحِ الرحومِ للمصالحة. وسيواجه الذين رفضوا المجيءَ للمسيحِ المصيرَ نفسه الذي للشيطانِ وأتباعه -دينونةُ الله الأبدية.

بعد أن نظرنا إلى المواضيع الرئيسية التي يبرزُ فيها الله كملكِ إسرائيلِ حافظِ العهدِ والملكِ رجلِ الحربِ المنتصر، يجب أن ننقلَ إلى موضوعنا الرئيسي الثالث في الخروج: الله كملكِ إسرائيلِ مشرّعِ العهدِ في الخروج ١٩: ١-٢٤: ١١.

مشرّع العهد (١٩: ١-٢٤: ١١)

كما رأينا سابقاً، لفتت هذه الأعدادُ النظرَ إلى سلطةِ موسى وشريعةِ العهدِ مع إسرائيل. في الشرق الأدنى القديم، اعتقدَ الناسُ أنّ الملوكَ البشريينَ والسمائيين أعلنوا عن حكمتهم من خلالِ الشرائعِ التي وضعوها. فلم يكن أمراً غريباً بالنسبة لقرّاءِ سفرِ الخروجِ الأصليين أن يكونَ الله ملكهم مشرّعَ العهد. لكن حتى نُدرك كيف شدّد موسى على هذا الموضوع، يُساعدنا أن نجدَ جواباً عن السؤال: لماذا أعطى اللهُ شريعتهُ في سفرِ الخروج.

تحدّث كلُّ تعليمٍ بروتستانتيٍّ رئيسيٍّ عن ثلاثةِ استخداماتٍ رئيسيةٍ للناموس. الأول هو ما ندعوه غالباً "اوسوس بيداجوجيكوس" "*usus pedagogicus*"، أي الاستخدامُ التعليمي للناموس. تعلّم مقاطعٍ من العهدِ الجديد مثلُ غلاطية ٣: ٢٣-٢٦، رومية ٣: ٢٠، ورومية ٥: ٢٠-٢١ أنّ الله

استخدمَ الناموسَ لِيُحَرِّضَ عَلَى الخَطِيئَةِ وليفضَحها. وبهذه الطريقة، يأتي الناسُ إلى المسيح كي ينالوا الخلاص. ثانياً، يُشير البروتستانت إلى ما يُعرَفُ عادةً "باوسوس سِفلوس" "*usus civilis*"، أي الاستخدامَ المدنيُّ أو السياسيُّ للناموس. ووفق هذا الاستخدام يكبُحُ الناموسُ الخَطِيئَةَ في المجتمع عن طريق التهديد بعقابِ الله. لكن بقدر ما تتماشى وجهاتُ النظرِ هذه مع تعاليمِ الكتبِ المقدَّسةِ عموماً، يشدَّدُ سفرُ الخروجِ على ما ندعوه "الاستخدامَ الثالثَ للناموس". وهو يُعرَفُ عادةً "باوسوس نورماتيفوس" "*usus normativus*"، أي الاستخدامَ المعيارِيَّ و "اوسوس ديداكتيكس" "*usus didacticus*" الاستخدامَ الإرشاديُّ. في هذه الحال، شريعةُ الله هي المعيارُ، أو الإرشادُ، للذين هم بالفعل تحت نعمته. إذاً في سفر الخروج، أعطى اللهُ الناموسَ أساساً ليقودَ شعبه، إسرائيل، نحو بركاته.

نجدُ هذا الموضوعَ في عدةِ أماكنَ في سفر الخروج. لكنّه يَظْهَرُ بصورةٍ خاصَّةٍ في ١٩: ١-٢٤: ١١، بدءاً من استهلالِ عهدِ الله مع إسرائيل وصولاً إلى التصديقِ على العهد. استمع إلى الخروج ١٩: ٤ حيث قال اللهُ لبني إسرائيل:

أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ مَا صَنَعْتُ بِالْمِصْرِيِّينَ. وَأَنَا حَمَلْتُكُمْ عَلَى أَجْنَحَةِ النُّسُورِ وَجِئْتُ بِكُمْ إِلَيَّ.
(خروج ١٩: ٤)

نرى هنا أنّه حتّى قبل أن يحصلَ بنو إسرائيل على الشريعة كانوا قد اختبروا نعمةَ الله. في العددين ٥ و ٦ انتقلَ اللهُ إلى الحاجةِ لأن يُطِيعَ بنو إسرائيلَ شريعته ومنافعَ ولائهم لعهدِه. فقال:

فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِسَوْتِي وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ. وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةً كَهَنَةً وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً. هَذِهِ هِيَ الكَلِمَاتُ الَّتِي تَكَلَّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ. (خروج ١٩: ٥-٦)

بعد أن سبقَ ونالوا نعمةَ الله، سيكون بنو إسرائيل "خاصَّتهُ"، و"مملكةَ كهنةٍ وأُمَّةً مقدَّسةً إن أطاعوا شريعتهُ. نرى بوضوح أنّ شريعةَ الله لم تُعطَ لبني إسرائيل كي يربحوا خلاصهم. بل كان الناموسُ هبةً اللهُ لشعبه بعدما كان قد أظهرَ لهم رحمةً.

نجد نموذجاً مشابهاً في الخروج ٢٠: ١-١٧. في ٢٠: ٢، استهلَّ اللهُ الوصايا العشر بإعلانٍ عن إحسانه نحو إسرائيل، قائلاً:

أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. (خروج ٢٠: ٢)

نرى مرّةً أخرى أنّ رحمة الله قد سبقت شريعته لإسرائيل. فلم يُعطِ الله الوصايا العشر إلا بعد هذا الإعلان. وكما يصرّح عددٌ من الوصايا العشر بوضوح، ستحصل إسرائيل على البركات إن أطاعت الشريعة.

ربّما يعتقد البعض أنّ شريعة الله مضيقة أو متناقضة مع النعمة، لكن عندما ننظر إلى الطريقة التي أعطى بها الله الشريعة في العهد القديم يمكننا أن نرى أنّه أظهر رافةً عندما أعطى الشريعة بالطريقة التي فعل. فما نراه هو أنّ الله أعطى شعبه الناموس بعدما فداهم من العبوديّة في مصر. فبينما كان يخرجهم من مصر ويتدخل ليدافع عنهم بقوةٍ عظيمةٍ، ثم يأتي بهم إلى البريّة ويتنازل إليهم ويكشف لهم عن غايته التي هي أن يعيشوا تحت ربوبيّة الله وملكه، هو ملكهم العظيم. وهكذا، ليس الناموس أمراً يلزم الله شعبه بحفظه من أجل أن يفديهم لاحقاً. بل أعطى الناموس بعدما فداهم الله من مصر وأراهم الطريقة التي ينبغي عليهم أن يعيشوا بحسبها تحت ربوبيّة الله كالمملك العظيم، وكيف ينبغي عليهم أن يعيشوا فيما بينهم كشعبٍ مفديّ. إذاً أينما تقرؤون عن الشريعة في العهد القديم، فاعلموا أنّها كانت مسبوقةً بتنازل الله العطوف نحو شعبه.

— د. براندن كرو

أظهر الله أيضاً هذا النمط خلال إقرار العهد. في الخروج ٢٤: ١-٢، دعا بنعمته قادة إسرائيل ليصعدوا إليه على جبل سيناء. في الأعداد ٣-٨، تعهد الشعب بطاعة الشريعة. وفي الأعداد ٩-١١، احتفل قادة إسرائيل بنعمة السلام مع الله، وبالفعل رأوا الله. بالنسبة للقراء الأصليين، نبههم هذا التركيز على الطبيعة الكريمة والنافعة لشريعة الله في الماضي إلى حاجتهم ليتبعوا شريعة الله في أيّامهم. حيث كانت الشريعة هبةً الله لهم في الظروف التي كانوا يعيشونها وكذلك في المستقبل أيضاً.

وعلى هذا النحو، في كلّ مرّة نكون أمام وصايا الله لإسرائيل في سفر الخروج، علينا كأتباع المسيح أن ننظر إليها كهبة الله الكريمة والنافعة لنا في المسيح.

نعلم أنّ في تأسيس ملكوته، منح يسوع ورسله وأنبياؤه الكنيسة إعلاناتٍ جديدةٍ تساعدنا على

تطبيق شريعة موسى على عصرنا. لكن مقاطع مثل متى ٥: ١٧، رومية ٨: ٤ والعبرانيين ٨: ١٠، تعلم بوضوح أن يسوع وأتباعه لم يُقَصِّصوا من سلطة شريعة موسى. وينطبق الأمر نفسه على مرحلة استمرارية الملكوت. واليوم، لا ينبغي علينا أن نحاول طاعة شريعة الله كما لو أن المسيح لم يأت. لكن يجب أن نُطبِّقها اليوم في ضوء الإعلان الإضافي في المسيح. وكما نعلم، عند عودة المسيح في اكتمال ملكوته، سيُقدِّس شعبه بالكامل. وعندها، سنُطيعُ شريعة الله الكاملة المكتوبة في قلوبنا، في الخليقة الجديدة.

لقد نظرنا إلى المواضيع الرئيسية في سفر الخروج من خلال بحثنا في الله كملك إسرائيل حافظ العهد، والملك رجل الحرب المنتصر والملك مشرع العهد. أخيراً، لننظر إلى موضوع الله كرجل الحرب الحالي لإسرائيل في الخروج ٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨.

رجل الحرب الحالي (٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨)

يقدم سفر الخروج تصوراً مثيراً للاهتمام لملك الرب على إسرائيل. عندما يدرس الناس العهد القديم، غالباً ما يظنون أن أول ملك على إسرائيل كان شاول. وشاول هو أول ملك أرضي إن جاز التعبير. لكن عندما تقرأ الخروج الإصحاح التاسع عشر والعشرين والخامس والسادس، ترى أنه يتكلم عن إسرائيل "كمملكة كهنة". من هنا لا يمكن أن تكون لديك مملكة دون ملك، لذلك من منظور الخروج الإصحاح التاسع عشر والعشرين والخامس والسادس فإن الملك الأول على إسرائيل هو في الواقع الله نفسه. وعلى الرغم من أن الله لم يكن متجسداً في المسيح في العهد القديم، ظهر ملكه في المسيح على شكل سحاب في النهار وعمود نار في الليل. وأصبحت خيمة الاجتماع رمزاً لعمانويل، "الله معنا". وهكذا، يظهر ملك الله في هذه الصور والرموز التي يمنحها لإسرائيل والتي يُريهم بها حكمه وملكه على إسرائيل من خلال المسيح.

— د. دون كولت

نرى موضوع حضور الله كملك بشكل أوضح في الخروج ٢٤: ١٢-٤٠: ٣٨. يركّز هذا الجزء الرئيسي الرابع من سفر الخروج على سلطة موسى وخيمة اجتماع إسرائيل. فتكرّر هذه الإصحاحات كيف أعطى الله موسى تعليماته بشأن خيمة الاجتماع، وكيف قَسَلَّ شعب إسرائيل عند

جبل سيناء، وكيف قاد موسى بني إسرائيل في تشييد خيمة الاجتماع. وقد ركّز كلٌّ من هذه الأحداث على حضور الله وَسَط شعبه. في الخروج ٣٣: ١٤، يؤكدُ الله لموسى أن:

وَجْهِي يَسِيرُ فَأَرْيَحُكَ. (خروج ٣٣: ١٤)

إن العبارة "وجهي" في هذا العدد هي ترجمةٌ للاسم العبري "بانيم" "פני", وهو تعبيرٌ غالباً ما يُترجم إلى "وجه". و"وجه" الله في عددٍ من المقاطع في سفر الخروج، وفي مواضعٍ أخرى، يعني حضورُ الله المميّز، والقويّ والمنتبه، وفي كثيرٍ من الأحيان المرئي وسط شعبه.

رغم أن الله كلّي الحضور، لكننا نراه في كلّ الكتاب المقدس يكرّس نفسه لشعبه بطرقٍ خاصّة. كان حضورُ الله، في هذا الجزء من سفر الخروج، قربَ خيمة الاجتماع وفي داخلها. وكما ذكرنا سابقاً في هذا الدرس، كانت خيمة الاجتماع أكثر بكثيرٍ من مجرد كنيسةٍ صغيرةٍ أو مكانٍ يُقيم فيه شعبُ إسرائيل خدمةَ العبادة. فعبدَ بنو إسرائيل الله في خيمة الاجتماع لأنها كانت خيمةَ حربِ الله الملك. ومثلما كان الملوكُ القدامى يُقيمون في خيمٍ حربٍ ملكيّةٍ عندما كانوا يقودون جيوشهم إلى المعركة، أقامَ الله في خيمته ليقودَ جيشَ إسرائيل في امتلاكهم أرض كنعان.

في الخروج ٣٢: ١-٣٤: ٣٥ كان حضورُ الله مع شعبه مُهدداً بشكلٍ خطير. حيث نتعلّم في هذه الحادثة، عن إخفاقٍ وتجديد بني إسرائيل عند جبل سيناء. عندما رأى الله أولاً أن بني إسرائيل يعبدون العجل الذهبي في سيناء، هدّدَ بهلاك الشعبِ بكامله ما عدا موسى. لكن تشفّع موسى لشعبه، ورقّ قلبُ الله عليهم فعاقبَ فقط من أخطأوا إليه. مع ذلك، هدّدَ الله ينزعِ حضوره من وَسَط شعبه فيما هم يتقدمون إلى الأمام في مسيرتهم. لكن فكرةَ السيرِ قُدماً بغيابِ حضور الله الملك كانت غيرُ واردة. استمع إلى الخروج ٣٣: ١٥-١٦ حيث قالَ موسى لله:

إِنْ لَمْ يَسِرْ وَجْهَكَ فَلَا تُصْعِدْنَا مِنْ هَهُنَا. فَإِنَّهُ بِمَاذَا يُعْلَمُ أَنِّي وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ أَنَا وَشَعْبُكَ؟ أَلَيْسَ بِمَسِيرِكَ مَعَنَا؟ فَنَمْتَازَ أَنَا وَشَعْبُكَ عَنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ؟ (خروج ٣٣: ١٥-١٦)

لاحظ هنا أن موسى سألَ الله ألا يُصعدَ إسرائيل "إن لم يسر وجهه" معهم. فناشدَ الله حتى يؤكدَ له أن الأمورَ بينه وبين شعبه تسير على ما يرام. وسألَ الله ألا ينزعَ ما يميّز شعبَ إسرائيل عن "جميع الشعوب الذين على وجه الأرض"، أي حضورَ الله في وَسَطهم. في الخروج ٣٣: ١٧، ردَّ الله

هكذا:

هَذَا الأَمْرُ أَيْضاً الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ أَفْعَلُهُ لَأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ وَعَرَفْتَنِي
بِاسْمِكَ. (خروج ٣٣ : ١٧)

لا عجب إذاً أن يشددَ الخروج ٤٠ : ٣٨، وهو العددُ الأخيرُ في السفر، على حضورِ الله مع بني إسرائيل في خيمة الاجتماع:

لِإِنَّ سَحَابَةَ الرَّبِّ كَانَتْ عَلَى الْمَسْكَنِ نَهَاراً. وَكَانَتْ فِيهَا نَارٌ لَيْلاً أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ
بَيْتِ إِسْرَائِيلَ فِي جَمِيعِ رِحْلَاتِهِمْ. (خروج ٤٠ : ٣٨)

الله حاضرٌ وسطَ شعبه. هو حاضرٌ مع موسى في الغليظة. وهو حاضرٌ مع شعبه في عمودِ النارِ هذا وفي هذه السحابة، يقودهم بعمودِ النارِ ليلاً وبالسحابة نهاراً. ثم إذ نتقدّم في الإصحاحات نحو نهايةِ السفر، إلى الأجزاء التي غالباً ما لا نُعيّرها أهميّةً، نجدُ أن الله أعطاهم خيمةَ الاجتماع. وفي داخلِ الخيمةِ أعطاهم تابوتَ العهد، الذي يرمزُ إلى حضورِ الله هناك. وما أحبه في هذا الأمر هو أننا نرى الله كإلهٍ يَرغبُ في أن يَسْكُنَ وسطَ شعبه، وبالنسبة لي، هذا الأمرُ يُنبئُ بما نقرأه في يوحنا الإصحاح الأول حيث يقول: والكلمةُ صارَ جسداً وحلَّ (أي سكن) بيننا. فالله في العهد القديم رَغِبَ في أن يكون مع شعبه، وفي النهاية أُرسلَ اللهُ ابنَهُ يسوع ليكونَ مع شعبه في العهد الجديد.

— د. ديفيد لام

يطبّقُ العهدُ الجديدُ هذا الموضوعَ الرئيسيَّ للحضورِ الخاصِّ لله الملكِ على أتباعِ المسيح في جميعِ مراحلِ ملكوتِ المسيح الثلاثة. فمقاطعٌ مثلُ متى ١٨ : ٢٠، ويوحنا ٢ : ١٩-٢١، تشرّحُ أنّه عندَ تأسيسِ ملكوته، كان المسيحُ نفسه حضوراً فوقَ طبيعيٍّ لله الملكِ بين شعبه. في الواقع، يرسمُ يوحنا ١ : ١٤ ترابطاً واضحاً بين خيمةِ اجتماعِ إسرائيل والمجيءِ الأوّلِ للمسيح. استمع إلى هذا العدد:

وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لَوْحِدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا. (يوحنا ١ : ١٤)

والعبارة "حلّ بيننا" مشتقة من التعبير اليوناني "سكينو" "σκηνώ". وقد استخدمت السبعينية، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم، الكلمة ذاتها للفعل العبري "شاكّن" "שָׁכַן" الذي يظهر في سفر الخروج ليصوّر حضورَ الله في خيمته. من هنا يُشيرُ هذا العددُ إلى أنه في تجسّد المسيح كان الله حاضراً مع شعبه ليقودهم إلى النصر.

بالإضافة إلى ذلك، تُعلّم مقاطع مثل أعمال الرسل ٢: ١٧، ورومية ٥: ٥ أنه عندما صعد يسوع إلى السماء، سكّب روحه على أتباعه. إذاً، خلال استمرارية ملكوت المسيح، يسكن الروح القدس في كنيسته. فكما ملأ الله خيمة الاجتماع بحضوره، هكذا يملأ الروح شعبه بحضوره الخاص والقوي الذي يضمن لنا إرشاد الله والانتصار يوماً بيوم.

وبالطبع، تعلّم مقاطع من العهد الجديد مثل الرؤيا ٢١: ٣ أيضاً أنّ تجسّد المسيح وحضور الروح الآن ليسا سوى تمهيد لحضور الله الملك العجيب في الخليقة الجديدة. وعندما يعود المسيح في اكتمال ملكوته، سيجعل كلّ شيء جديداً. وستمتلئ الخليقة بكاملها بالمجد الظاهر لملكنا الحالي رجل الحرب.

الخاتمة

في هذا الدرس الذي عنوانه "نظرة عامة على سفر الخروج"، قدّمنا بعض الاعتبارات الأولية التي ينبغي أن نُبقيها في أذهاننا، ومن ضمنها كاتب السفر ومناسبة كتابته، والمعنى الأصلي والتطبيق المعاصر. كما درسنا بنية سفر الخروج ومحتواه بتقسيمه إلى قسمين رئيسيين. ونظرنا إلى بعض المواضيع الرئيسية التي تناولت أوجه ملك الله البارزة في كلّ السفر.

إنّ لسفر الخروج أهمية بالغة بالنسبة لقراء شعب إسرائيل الأصليين حين نزلوا مع موسى على حدود أرض الموعد. فبينما كان بنو إسرائيل يتأملون في التحديات العيش مع الله في أيامهم، دعاهم سفر الخروج ليؤكدوا مرةً أخرى التزامهم تجاه موسى كقائد لشعبهم معيّن من الله. كذلك ذكّرهم السفر بدور موسى عندما حرّره من مصر وأتى بهم إلى جبل سيناء. كما ذكّرهم كيف أعدّهم الله لأرض الموعد.

وبطريقة مشابهة، يدعونا سفر الخروج كأتابع للمسيح اليوم، إلى تأكيد ولائنا لسلطة موسى،

لكن في ضوء ما حققه الله في المسيح. ويقدر ما صنع الله أموراً مع شعبه من خلال موسى كقائد لإسرائيل، يظهر سفر الخروج كم صنع الله أكثر بكثير من خلال المسيح. ففي المسيح، قد حررنا الله إلى الأبد من عبودية الخطية وسلطان إبليس. وفي المسيح منحنا الله أيضاً حضور روح المسيح وتعاليمه لترشدنا. وعلى ضوء ذلك، يمنحنا سفر الخروج فرصاً لا تعدّ لنتعلم أكثر فأكثر عن كيفية اتباعنا للمسيح وهو يقودنا إلى ميراثنا الأبدي الموعود في السماء الجديدة والأرض الجديدة.